

المصفاة

مجلة

المجلد الثامن

الجزء الثالث عشر والرابع عشر
والخامس عشر والسادس عشر



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

اللحسان
١٣١٥

يُدبر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر - غرفة رجب سنة ١٣٢٣ - ٣١ أوغسطس (أب) سنة ١٩٠٥)

سيرة تمت سيرة الاستاذ الامام

(افتاء الديار المصرية وخدمة الاوقاف والمحاكم الشرعية)

في ست بقين من المحرم سنة ١٣١٧ (٣ يونيو سنة ١٨٩٩) صدر الامر العالي بناء على قرار مجلس النظار بتعيين الفقيه مفتيا للديار المصرية وكان الامير ايده الله بتوفيقه هو الذي اختاره لذلك أولا . وقد رأته في أول الامر غير مرتاح الى هذا المنصب وإن كان شريفاً لانه ليس فيه أعمال عمومية ولكن الرجل الذي قدر على ان يجعل التحرير في الجريدة الرسمية وسيلة للاصلاح في الحكومة والارشاد للأمة لا يهجز عن التوسل بأكبر منصب شرعي الى الخدمة المالية العامة وكذلك كان فانه به خدم القضاء الشرعي والاقواف الاسلامية أجل خدمة . وزادت في أيام هذا المنصب شهرته وكثر عدد المارفين بفضلته حتى كاد يكون المرجع في الفتوى لجميع مسلمي الأرض وناهيك باستفتاء مثل مفتي بنجاب اياه

كان أول عمل جليل له بعد ان صار مفتيا تقتبس المحاكم الشرعية في القطر كله وإظهار جميع ما فيها من الخلل وبيان مناشئه فمنها ما كان من تفسير الحكومة ومنها ما هو من تفسير القضاة والكتاب وقد كتب في ذلك تقريره المشهور فكان مدهشا للافكار في دقة بحثه وتشخيصه فاه

هذه المحاكم ؛ ووصفه للملاج الذي لا شفاء بدونه وقد عجب الجبناء من جديد شجاعته اذ خاطب الحكومة رسميا ببيان تصيرها وطالبها بإزالتها . وقد أملت الحكومة هذا التقرير على الاعتبار وألفت لجنة في نظارة الحقانية للبحث في تنفيذ ما يتيسر تنفيذه منه بالتدرج

وكان رحمه الله صاحب الرأي المنير في مجلس الاوقاف الأعلى عما كان

يطبق الأعمال على الشرع والمصلحة وأهم خدمة له فيه مشروع المساجد الذي وضعه لصارة بيوت الله تعالى وإحياء الدين وعلومه وترقية الخطابة وبت الإرشاد في الأمة وقد توهنا به في المنار من قبل ونشرنا في الجزء الثامن من هذا المجلد ما أقره المجلس من ذلك المشروع ثم صدر الأمر العالي بتوقيف تنفيذه ثم صدر أمر آخر بتنفيذ شيء منه . ومن هذا المشروع تعلم انه رحمه الله تعالى كان يتوسل بكل عمل يدخل فيه الى إحياء العلم وهداية الدين وتربية المسلمين

عمله في مجلس الشورى

في سنة ١٣١٧ - ١٨٩٩ عين عضوا دائما في مجلس الشورى فانتقل المجلس به من حال إلى حال . كانت الحكومة قلما تحفل برأي المجلس وكان المجلس في نظر الأمة وفي نظر أعضائه الوكلاء عنها غير مضطلم بما أوجد لا أجله حتى ان جلساته كانت قلما تلتئم على أصول نظامه بحضور جميع أعضائه أو معظمهم . فلما دخله قنعت فيه روح جديدة زال بها سوء التفاهم بينه وبين الحكومة فصارت تحفل برأيه وتحمله من الاعتبار ما لم تكن تحمله فتأخذ برأيه فيما يمكن الأخذ به وتبين له سبب ما لم تأخذ به وتوحي رجاء أعضائه في خدمتهم وانتظام عقد اجتماعهم وعظمت ثقة الأمة بهم وكان أكثر ما ترسله الحكومة الى المجلس لينظر فيه يؤاتف له لجنة تحت رئاسة الفقيه لتدقق النظر فيه وتعرض رأيا على المجلس . وكان له رحمه الله الرأي المالي والصوت المسوع في كل مسألة وكل مشروع فكنت تراه في المسائل المالية حاسبا اقتصاديا ، وفي المسائل الادارية اداريا ماهرا ، وفي اللوائح والقوانين قانونيا خبيرا ، وفي الامور الشرعية

إماماً فقيهاً ، وكان المجلس يهد إليه مذكرة الحكومة في الشؤون
الوظيفية ليكون الحد الاوسط في شكل القياس لتخرج النتيجة في خدمة
البلاد صحيحة

وقد كادت أعمال المجلس تقتال معظم وقته فكنت أنأم من ذلك
لاعتيادي ان وقته آمن من أن يتفق في خدمة المجلس فلا أكاد أجد فرصة
الا وأرغب اليه فيها بالتخفيف والاقلال من الاشتغال بمعمل المجلس حتى
قلت له سره ان الحكومة المصرية يشبه ان تكون أعمالها وقوانينها ، ووقته
فهي عرضة للتغيير فرب عمل تنفق فيه أياما طويلة لتقره الحكومة على ما
يرى انه أتمع للبلاد ولا تلبث هي بعد ان تقره ان ترجع عنه بعد زمن قصير أو
طويلا ويوشك ان تنفق في تحقيق بعض الأمور إماما كثيرة ثم لا يتيسر اقتناع
الحكومة به أو تقتنع بأنه نافع ويعنيها مانع من العمل به ولو صرفت مثل
هذه الاوقات في الكتابة والتأليف لكان ماتكسب هداية لهذه الامة باقية
ما بقيت الامة : فقال ان الغرض الاول من العمل في المجلس هو التعاون
مع الاعضاء على الجهد والاهتمام بالبحث في الامور العامة ومصالح البلاد
وتربية الرأي العام في الامة ليكون ذلك إعدادا لنفوس طائفة منا لفصل
الاحكام بالثوري فاذا ارتقت هذه الملكة في الهيئة الحاضرة للمجلس فانها
تنقل عنها الى الهيئة التي تخلفها ويكون ذلك جرؤمة من جرائم الاصلاح
في البلاد ، فعلمت من هذا الجواب انه لا يترك مذهبه في الاصلاح من
طريقة التربية العملية في عمل من اعماله وسيأتي ذكر مذهبه هذا في عمله
حفظ عمله في الجمعية الخيرية الاسلامية

يوجد في كل قطر من بلاد المسلمين أفراد تفرقت فيهم الفضائل

الكثيرة التي هي مناط حياة الأمم ولكن يوزهم شي، للحياة الاجتماعية في هذا العصر هو أهم شيء وعليه يتوقف كل شيء، وهو التعاون على الخدمة العامة والاعمال المشتركة وانك لا تكاد ترى في قطر إسلامي جميات ولا شركات ناجحة يرجي خيرها للأمة الا ما بدأ به مسلمو الهند ومصر في ظل الحرية الانكليزية، ولا يزال كثيره في مهده الطفولية، ولم تنجح في مصر جمعية من الجمعيات الكثيرة التي ألفت فيها بأسماء مختلفة لمقاصد مختلفة مثل نجاح الجمعية الخيرية الإسلامية ولم تصادف جمعية منها ما صادفته هذه الجمعية من الصدمات، التي يمز فيها الصبر والثبات، وكان الفضل الأول في ثباتها ونجاحها للاستاذ الامام أحسن الله جزاءه

أنشئت الجمعية للتعاون على تربية أولاد الفقراء والمساكين من المسلمين وإعانة العاجزين منهم عن الكسب على شقاء الحياة فاتهمها أعداء البشر بالسياسة وسموا بها الى ذوي النفوذ والسلطة ولولا سعيه في الدفاع عنها وإقناع أهل الحل والعقد بأنها خيرية محضة ليس من موضوعها ولا مما تقصد اليه شيء سياسي أو سري لعنت رسومها . ثم إنه خدمها بنفسه وبالتعاون مع أصفياه المؤسسين لها معه كوكيلها وأعضاء ادارتها لهذا العهد خدمة جلية حتى ارتقت عن طور الطفولة وصار ثباتها مضموناً بحول الله وقوته . ومما انفرد به في خدمتها دعوة الأسمراء والوجهاء والاعنياء الى الاشتراك فيها ومساعدتها وتحصيله منهم قيم الاشتراك إذا اقتضت الحال بذلك أسست الجمعية سنة ١٣١٠ وفي سنة ١٣١٨ انتخب رئيساً لها فزاد

اجتهاده في خدمتها وكان من ارتفاعها في زمن رياسته ان صار إيرادها في السنة الماضية ١٠٣٩٥ جنيهاً وكان في سنة (١٣١٧) ٤٤٣٠ جنيهاً وصارت

أطيانها ٣٣٣ فدانا وكانت قبيل ذلك ٢٨٠ فدانا وصارت مدارسها سبعا
وكانت أرباما . على أنه كان يرى أن القائمة الأولى المقصودة بالذات من
الجمعية هي تمويد المسلمين الاجتماع للخير والتعاون على البر والخدمة العامة
وإشمار قلوب الاغنياء عاطفة الرحمة والاحسان بالنفراء كما كان يصرح
بذلك في الاجتماع العام السنوي كل عام فهو فيها عامل بمذهبه في تربية
الأمة كما كان شأنه في غيرها جزاء الله عن هذه الأمة أفضل الجزاء

طبع الكتب النافذة وجمعية إحياء العلوم العربية

كان رضي الله عنه يرى أن حياة الأمة بدون حياة انتها من المحال
وان حياة العلوم العربية بمثل هذه الكتب الازهرية محال وان لا بد الاصلاح
من إحياء كتب أمتنا وكبار علمائنا التي ألت أيام كان العلم حيا في الأمة
فكان يسمى لذلك سميه وبهديه وإسماده طبعنا فينك الكتابين الجليلين
الذين هما روح علم البلاغة - أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز - للشبيخ
عبد القاهر الجرجاني مؤسس علوم البلاغة ولولا تصحيح الفقيه لهما
واستحضاره لنسخهما من الاقطار النائية لما تيسر طبعهما . وفي سنة ١٣١٨
أسست في مصر جمعية خاصة لهذه الخدمة تحت رئاسته سميت (جمعية
إحياء العلوم العربية) كانت فاتحة أعمالها طبع كتاب (المخصص) لابن سيده
في اللغة وهو كتاب لا نظير له في باب ولا غناء عنه في إحياء اللغة في هذا
العصر . وقد شرعت بإسده في إحياء مدونة الامام مالك وعني الفقيه
رحمه الله تعالى باستحضار نسخها من تونس وفاس وغيرها من البلاد
ولولاه لما تيسر جمعها كلها ولنا رجاء عظيم في بقاها وحسن خدمتها بهمة
من كان وكيلها وليس لرئاستها بعد الفقيه سواه الا وهو حسن باشا عاصم

أهلاً بكم مؤلفاته - بحسب تاريخ تأليفها بالتقريب
 (١ - الواردات) رسالة في الكلام أو التوحيد على طريقة الصوفية
 وأسلوبهم وهي أول تأليفه ولعلنا نشرها برمتها في سيرته المطولة فقد كان
 أعطانا نسخة منها

(٢ - رسالة في وحدة الوجود) وهي رسالة تقيسة لم أطلع عليها
 ولكنه هو الذي أخبرني بها وقال انها ليست بمعنى ما كتب عبد الكريم
 الجلي وأمثاله مما هو أقرب الى مذاهب الحلول كالنصرانية منه إلى توحيد
 الاسلام ولكنها بأسلوب آخر وأراه يبين فيها مراتب الوجود وتعددتها
 من وجه ونظامها العام ووحدتها من وجه آخر ولعلنا نظفر بها ونطبها

(٣ - تاريخ إسماعيل باشا) أخبرني بهذا الكتاب أحد تلامذته الأولين
 وقال ان عبد الله النديم كان أخذ من التقييد نسخته في أثناء الثورة العراقية
 ونشر منه فصولاً في جريدة الطائف بتصرف أو بغير تصرف ولم أسمع
 منه رحمه الله تعالى ذكر هذا الكتاب وكنت أظن أنه لم يصنف شيئاً الا
 وقد أخبرني به لأنه قص علي تاريخه بالتفصيل وكتب إلي شيئاً مجملًا
 منه كما علم القراء

(٤ - فلسفة الاجتماع والتاريخ) هو الكتاب الذي ألفه أيام كان يدرس
 مقدمة ابن خلدون في مدرسة دار العلوم كما ذكرنا في هذه السيرة وقد
 فقد هذا الكتاب عند ما عزله توفيق باشا من المدرسة ونفي السيد جمال
 وأخذت أوراقه وكان طيب الله ثراه يقول أتمنى لو يحفظ هذا الكتاب
 من وقع في يده ويدعيه لنفسه ولو بعد موتي لينتفع به الناس

(٥ - حاشية عقائد الجلال الدواني) وهي غاية الغايات في علم الكلام

وتحقيق مسائله وتحريباته بين المتكلمين وبيان ماهو لفظي منه وماهو حقيقي وقد كان السيد عمر الخشاب شرع في طبعا ولعلها تم عن قريب (٦ - شرح نهج البلاغة) وهو شهر جدا وقد طبع في بيروت مرتين وفي طرابلس مرة وفي مصر مرة

(٧ - شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني) وهو مطبوع في بيروت ولم يعرف لغيره شرح لهذه المقامات وقد فرغ منه في ١٦ رمضان سنة ١٣٠٦ (٨ - شرح البصائر النصيرية) في المنطق وهو شرح وجيز أطلق عليه لفظ التعليقات والكتاب عالي الاسلوب وهو من أحسن ما كتب المسلمون في المنطق ولم يسبق لاحد قبله كتابة عليه فيما نعلم وقد قرأه درسا في الجامع الازهر وحضرناه عليه ولعله لا يتسامى أحد الى تدريسه بمده وان كان من الكتب التي قرر مجلس ادارة الازهر تدريسها فيه رسميا الا ان يكون بعض من تلقاه عنه

(٩ - نظام التربية بمصر) رسالة في الطريقة المثلى لتربية المصريين وتعليمهم وهي على إيجازها من أحسن ما كتب وأتقنه وستنشر في تاريخه (١٠ - رسالة التوحيد) وما أدراك ما رسالة التوحيد هي التي يصدق عليها القول المشهور «لم ينسج ناسج على منوالها ولم تسمح قريحة بنتالها» هي التي يصح أن تعد معجزة من معجزات النبي عليه السلام، وآية من آيات الاسلام، هي التي ينبغي ان تجعل أصل الدعوة الى هذا الدين، ويتم تلقينها جميع المسلمين، وقد قلت للاستاذ الامام رضي الله عنه إنه لولا اسم هذه الرسالة وما في أولها من الاصطلاحات الكلامية الوجيزة لكان انتشارها أضعاف ما هو الآن، واعم الانتفاع بها كل مكان، ولكن

البيد ، اذا سمع باسم رسالة التوحيد ، يتوهم انها عقيدة كالتنوسية ، أو كالمناذ النسية ، والقريب قد يأخذ نسخة منها ، فيصرفه ذكر الواجب والممكن والمستحيل عنها ، توهمها انها في علم الكلام ، الذي لا يتناوله الا العلماء الاعلام ، وقد كان رحمه الله تعالى عازما على بسط الكلام في هذه المقدمات ، وسأثر مسائل الآليات ، وجعل الكلام فيها كالكلام في النبوة ومزايا الاسلام ، موجها الى العقل والى الوجدان ، لا مجرد تقرير وجيز للبرهان ، وقد قرأها درسا في الأزهر وتلقيناها عنه

(١١ - تقرير المحاكم الشرعية) هو على خصوصية موضوعه مفيد حتى لغير القضاة ومستخدمي هذه المحاكم من جميع أهل العلم والادب لاسيما طلاب علم الفقه فإنه يمطهم من البصيرة في طريقة التحصيل على الوجه الذي ينتمون به وينتمون مالا يجدونه في سواء وفيه كثير من الفوائد الادارية والاجتماعية والادبية . وأحوج الناس اليه بعد القضاة وكتاب المحاكم المرشحون للقضاء وللكتابة في هذه المحاكم

(١٢ - الاسلام والنصرانية ، مع العلم والمدنية) وهو مقالات كتبها لجهة المنار ثم جردناها منه وطبعناها على حديثها وسميناها بهذا الاسم باذنه فجات كتابا مستقلا يناهز مئتي صفحة وقد تقدمت نسخ الطبعة الأولى فأعدنا طبعة

(١٣ - تفسير سورة العصر) كتبه لينشر في المنار اجابة لرغبنا ورغبة بعض أهل العلم في مدينة الجزائر الذين حضروا هناك درسه في تفسير السورة وقد كتب في هامش تفسير جزء عم عند تفسير هذه السورة مانصه : «وقد كتبنا تفسيراً لهذه السورة الشريفة نشر وحده بمدان طبع في

مطبوعة جريدة المنارة وهو ما كنا ألقيناه درسا في مدينة الجزائر في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦١ وفيه تفصيل طويل لما أجمناه في هذا التفسير المختصر فن أراد بيانا أوسع ، وتفصيلا أبداع ، فليطلب ذلك التفسير ، فهو فيما أعلم غير مسبوق بنظير ، «أقول انا طبعناه بالقطع الصبغ ليوضع في الجيب وطبعنا معه ملخص درس الاستاذ الامام في تونس وموضوعه العلوم الاسلامية وأقرب الطرق لتعلمها

(١٤ - تفسير جزء هم) هو على قرب المهدي بطبعه أشهر من نار على علم وقد كان رواجهاً أكثر من رواج سائر كتبه على شدة الرغبة فيها كلها حتى انه قد وزع منه عدة ألوف في عدة شهور وهذا شيء لم يمهده له نظير في المطبوعات العربية

هذه هي مؤلفاته التامة ولا حاجة هنا لذكر ما بدأ به ولم يتمه وأمام مقالاته التي نشرت قديما وحديثا في الجرائد المصرية وغيرها فهي كثيرة جدا وكما آيات بينات في العلم والدين والادب تقع الله بها وأعاننا على احياها (السيرة بقية)

باب المقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

المقالة الثانية - لصاحب الامضاء

بقية الكلام في النبوة

أيسر المقائد الاسلامية أنزالمقائد وأبدها عن مخالفة المعقول والوحيدية في قوة الحججة ومثابة البرهان (أنظر ما تقدم في المقالة الأولى) . أليس في القرآن أصول الدلائل العقلية على صحة هذه المقائد مع الرد على من خالفها أجلى يان . أليس في العبادات والأوامر والنواهي القرآنية ما يطهر القلب ويصلح النفس والجسم معاً وأحوال الدين

والدنيا. أليس في القرآن من المسائل العلمية الطبيعية ما لم يخطر على قلب بشر في ذلك الزمن وفي تلك البلاد. ماذا يكون قول العاصمي إذا ذكر شيئاً عن البرق والرعد والصواعق وماذا يقع في كلامه من الاوهام ونحن في القرن العشرين للمسيح فما بالك إذا كان في القرن السادس فكيف لم يدخل ما يذكره العامة من الخرافات في القرآن ولم يذكرها محمد فيه اعتقاداً منه لها وجرياً على ما كان عليه معاصروه. فكم ذكرت هذه الأشياء في القرآن وغيرها من عجائب الكون ومع ذلك لم يرد عنها إلا كل قول صحيح سالم من طعن الطاعنين فكيف تحاشى محمد الوقوع فيما يقع فيه مثله من العامة عند ذكر هذه المسائل. هل يعرف العاصمي الأمي من العرب في ذلك الزمن أن كل الثمرات لها حياة كحياة الحيوان وأنها جميعها لها ذكروا شيء وهو الأمر الذي لم يقل به العلماء إلا في الزمن الأخير (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) مع أن العرب لم تكن تعرف ذلك إلا في التخيل. هل يعرف العاصمي أن القمر ليس مضيئاً بذاته ويدرك أن الشمس وحدها هي مصباح عالمنا هذا فيقول (فجونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) ولا يصف القمر بما يستفاد منه أنه مصدر للنور ويصف الشمس وحدها دائماً بذلك كقوله أنها سراج ونحو ذلك. هل كان احد في ذلك الزمن يعتقد دوران الأرض حتى يرد في القرآن (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر صر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) وليس ذلك في يوم القيامة على الأصح إذ قوله (تحسبها جامدة) لا يناسب مقام التهويل والتخويف وقوله «صنع الله الذي أتقن كل شيء» لا يناسب مقام الاهلاك والابادة هل كان احد يدرك الفرق بين جعل النهار الذي هو من حركة الأرض مجلياً للشمس والليل غاشياً لها وبين العكس حتى يأتي بهذا التصبر (والنهار إذا جلاها والليل إذا يشاها) والذي أتعب المفسرين زمنوا ولا يقول إن الشمس هي المجلية للنهار بتحركها كما كان ينتظر من مثل هذا العربي الأمي. من من العامة يدرك أن صفر القمر وكبره حسب ما نشاهده ليس الا اختلاف منازلها بالنسبة إلى الشمس لان حجمه الحقيقي يصغر ثم يكبر شيئاً فشيئاً حتى يقول (وقدره منازل تعلموا عدد السنين والحساب). يظن العامة أن المطرات من الجنة أو من الملكوت الأعلى أو من عالم غير عالمنا هذا ولا يتصورون أن أصله من ماء بحار أرضنا هذه ولكن القرآن يقول (أخرج منها ماءها ومرعاها) أي إن المياه بأنواعها التي نستعملها

خارجة من الارض ولم يستثن منها ماء المطر كما يتوهمون . فهل يكون في كلام الامي العامي في ذلك الزمن هذه الدقة في التمييز والصدق في العبارة والاشارة الواضحة الى مسائل علمية لم تكن معروفة من قبل أو موهولا عليها في زمنه هل تدرك العامة بل وكثير من الخاصة أن التغييرات في العالم أعظم برهان على وجود الخالق تعالى حتى يستشهد القرآن على ذلك باختلاف الليل والنهار وحركات الكواكب وشمسها وأقواها . أليس ذلك بمالم تمته اليه عظماء الفلاسفة الاجهد والعباء الكبير هذا وإن القرآن قد أتى بالحكم الكثيرة والامثال الصحيحة على وجه وتعبير ينهك الفيلسوف الحكيم بدنه دون أن يأتي على تعبير مثله فما بالك بهذا الامي . فهل تقول بعد ذلك كله إن سماع النبي لحاط من جاوره من الناس الجهلاء وهو سهم هو المصدر لهذا الكتاب الحكيم

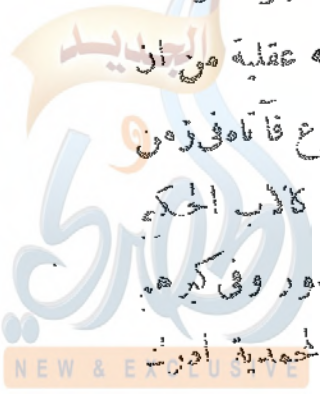
فوالله لو كلف أحد الفلاسفة أن يمحس المسائل كما محسها القرآن وان يأتي بأصح الآراء وأقومها في المقدمات وغيرها ويؤسس مثل هذا الدين الكامل بجميع ما فيه ويتبع السياسة الرشيدة والحكمة البالغة في ارشاد الناس اليه كما فعل محمد عليه السلام وأن يحترس من الوقوع في زلة واحدة وان ينجز عن بعض اشياء في المستقبل بفكره وقريحته بحيث لا يخطيء فيها وان يأتي ببعض مسائل علمية لا يعرفها معاصروه وكلف بأن يجعل كل كلامه هذا بأسلوب غريب لم تعهده الناس من قبل ويكون في درجة من البلاغة لا يحاكيها أحد وان يقرب كيان أمة عظيمة كالامة العربية فيمدان كانوا اعداء صاروا اخواناً وبعد ان كانوا عابدين للاوهام صاروا علماء ، وبعد ان كانوا اضعف الامم صاروا اقواها وسادتها في مدة قليلة . نوكلف بهذا كله لاقر في الحال بالمعجز واعترف بالضعف فما بالك اذا بلجي العربي الذي نشأ في قبرا امياً في وسط الجهل والوثنية في زمن الهوى والظلام محتاط به الخرافات من كل جانب والباطيل من كل مكان امتزج حوله الحق بالباطل واختلط الصدق بالكذب بسمع قولاً حقيقاً مرة واكاذيب بجانبه مرات فلا يمكنه ان يميز احدهما عن الآخر لعدم علمه ، تشبعت في فكره الآراء وتضاربت في نفسه الاقوال فوقف وقفة الحائر ينتظر الارشاد الالهي حتى جاءه الوحي الرباني فمحس الحق ورفض الباطل وقرر الصدق وازهق الكاذب .

واعتمد في دعواه على الحجج البينات لاعلى الالاعيب فأعظم به من نبي ختم الله به
الانبياء واكرم به من رسول طارذ كره في السماء صلى الله عليه وسلم
بقي علي أن اذكر شيئاً عن اخلاقه بعد ان خضعت له الملوك وهايته الجيابة وانتشر اسمه
في سائر الافاق . هل ظني وبني وانهمك في الملاذ ؟ كلائم كلاء ملك ما كما واسما ولكن
ما فارقه الزهد والتقصيف طول حياته مات ولم يترك الا شيئاً زهيداً وأوصى أن يكون صدقة
لامته لم يتغير حلمه وعفوه وورأقه ورحمته بالناس بل زادت . اقتصر على زوجته المعجوز الى ما
بعد الاربعين كما قلنا سابقاً حتى توفيت ومن تزوجهن بعد ذلك لم يكن فيهن بكر سوى عائشة
وتزوجها وهي في سن تكاد أن لاتشمي فيه لتوثيق ما بينه وبين والدها من المحبة والمودة
وكان غرضه من تمدهن القيام بكفالتهم لفقرهن أو عدم وجودهن يقوم بشؤونهن
كمن فقدت بملها في حرب أو غضب عليها أهلها لاسلامها أو لم يرغب فيها أحد من
أصحابه لكبر سنها وليس للنبي أن يشير على أحد بتزوج بهن لئلا يأخذها مضطراً في
زواجها فلا يحصل بينهما افاق . وكان الفرض في زواج بهن ايجاد الرابطة بينه وبين أهلين
أو تزوية بهن على فقد زوج كانت تتفانى في حبه أو ابطال عاداته من عادات الجاهلية
التي غير ذلك من الاغراض الشريفة كما يتضح للمدقق في اخبارهن فشفقة بهن ورحمة لهن
كان يتزوجهن ولا يمكنه أن ييقن في منزله من غير زواج لئلا يرميه الناس باستخدامهن
من غير حق أو بارادة الفحشاء بهن (تنزه عن ذلك وجل مقامه عنه) ولو كان غرضه
الشهوة لكن من حسان الابدكار لا التيبات السنات فمن كان هذا شأنه لا يتصور أنه كان
يطلب بدعواه النبوة الحصول على شيء من لذات هذه الدنيا والالوجدة بعد نجاحه
متكبراً جباراً منتقماً فظاً غليظ القلب متمالياً في نفسه محتمراً لغيره فأين هذا كله من كان
متواضعاً متقشفاً يخضع لعله بيده ويرقع ثوبه ويطوي على الجوع ليالي راضياً بالقليل
رحيماً بالناس لطيفاً يحترم كل أحد حسب منزلته حليماً لا يفضبه جهل الجاهل ولا قلة
أدب الوقبح . ينفو ويصنع عن أساء إليه . اذا احتاج بقترض المال حتى من اليهود وكثيراً
ما أودى بسبب ذلك قاله أكبر ما اجل شأن النبوة وأرفمها عميريه به الجيلة من الناس
هداهم الله

هذا الذي ذكرناه من الدلائل هو الممول عليه في هذا الباب والسند الاقوى للنبي

في دعواه وأما ما ظهر على يديه من خوارق العادات فلم يكن عليه السلام يعتمد عليها كثيراً فلذا ضربنا صفحاً عن اطالة البحث فيها وغاية ما نقول ان هذه المعجزات ليست من الاستحالات بل هي مما يدخل تحت قدرة الله تعالى وقد نقلها الثقات نقلاً متصلاً صحيحاً وتواتر بعضها بحيث ان الانسان ان شك في بعض أفرادها لا يمكنه ان يشك في مجموعها. وأمثال هذه المعجزات كانت الحجج الكبرى والدليل الوحيد للأنبياء السابقين مع انهم ذلك لان الانسان في تلك العصور ما كان يدرك قوة الدليل العقلي فكان كالطفل لا تتفعل نفسه الا بما وتم تحت حسه ولا يتأثر الا بما كان تحت لمسه ولما بلغ رشده وارتقى ارتقت ادلة النبوة كذلك واتاه الله من الدلائل بما يناسب حالة رقيه العقلي وجعل المعجزة الكبرى في اتيان الامي بما أتى به مما فصلناه وعجز البشر جميعاً عن الاتيان بمثله. وأما المعجزات الاخرى فلم يكن يراد بها الاثبات الذي آمنوا بالحس بعد ان اقتنعوا بالعقل والزام المعاندين الذي علقوا ايمانهم على رؤية هذه الخوارق ولما لم يؤمنوا عند ظهورها ما كان يجيبهم الى طلب غيرها لان من لم يقتنع بهذه لا يقتنع بتلك اذ الدلالة على الصدق في جميعها واحدة. وهذا الذي قلناه هو ما يستمد من مجموع آي القرآن الواردة في هذا الشأن فليراجعها من شاء. والخلاصة ان الدليل قسبان حسي وعقلي اما الحسي فانه اشد تأثيراً على النفس وافعل في القلب واه العقلي فانه اصح واعم فائدة وذلك لانه متى احكمت مقدماته ونتائجه فلا سييل لتطرق الشك اليه وكل من تصوره صدق به بخلاف الحسي فلا يؤثر الا على من نظره بهينه ويتطرق اليه شبهات كثيرة كالشهوة والتدليس والحيل وكلما كان الانسان بسيطاً كان فعله في نفسه اشد

ولما كان محمد عليه السلام خاتم الانبياء ورسلاً الى الانسان بعد بلوغه رشده ودعوته ليست قاصرة على زمن او مكان كان الانسب ان تكون حجته عقلية من اجل ان تكون حسية. وقد كان ذلك وظهرت حكمة الله جل شأنه في هذا النوع فآتاه في زمن طفولته بما يناسب بساطته وفي زمن كهولته بما يوافق رقيه ودرجة عقله كلاب الحكيم يحمل ابناءه في صفرهم على الدرس باعظانهم المكافآت كالحوى والنصور وفي كبره بتبيين فوائد الدراسة ومنافعها وتأثيرها في مستقبلهم فالانسان بالبنية الخمدية ادرى قيمة عقله ونقص من سائر القبول وان يتى لمعه ذلك علمه سلماً ان الاحتمال عليه حجة



وقام بنفض ما على جسده من غبار التقليد ونظر بعقله الى ما حوله من الموجودات واستخدمها
وهكذا سار في طريق الإصلاح الى ان يباغ الكمال ان شاء الله تعالى
ولتختم هذه المقالة باختصارها في كلمات معدودة فقول:
كل من أتى بإصلاح في الأرض من قبل الله تعالى فهو نبي ومحمد قد أتى بالإصلاح من
قبله تعالى فهو نبي والدليل على ان اصلاحه من عند الله انه ليس مستمداً من معلومات
من جاوره من الناس كابناء آفان وان ما أتى به لا يقدر البشر على الايمان بمثل جزئه
منه اذ لو كان مقتبساً من علمهم لكانوا اقدر على الايمان بذلك قال تعالى (فان لم يستجيبوا
لكم فاعلموا انما نزل بعلم الله)
اذأ القرآن كتاب الله وكل ما فيه حق من عنده تعالى فيجب الايمان به والعمل بما فيه
لتحوز سعادة الدنيا والآخرة، (محمد توفيق صدقي طيب بسجن طره)

باب التبرير والتعلم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

المكتوب الثاني

من إراسم الى «أميل»

فراق الولد لو اديه سنة فطرية - العلم في ألمانيا - نقد التلميذ ما يقرؤه من أفكار
غيره - القصد في علوم العقول نفع الأمة بالقيام بالواجب على قدر الطاقة - اختيار
الولد العمل الذي يشتغل به بهد - يان انه لا حرية لامة يتكالب شبانها على تولى أعمال
الحكومة - التحذير من الملحدين - يان ان الرأي العام لا قيمة له الا اذا كانت الحكومة
شورى - خدمة الأمة لذاتها لا لاجزاء

لوندرو في ١٣ فبراير سنة ١٨٦٦

اذا كنت يا عزيزي «أميل» تألم من استبحاشك فنحن نألم من فراقك ولكن يجب

هنا التسامح والرضا بما لا بد منه واعلم انه لو كان في وسمي أن أبرح لوندرو وأخلف من أقوم

(*) معرف من باب تربية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

عليهم من المرضى لمراقبتك الى حيث أنت الآن لكنت فيه متردداً فقد آن لك أن تتعلم كيف تسير سيرة الرجال ان الطيور لتحب افراخها ولكنها متى آنت فيها من القوة ما يكفي لاستقلالها بنفسها في الطيران شجعها على تجريب أجنحتها فيه سنة الله الذي أراد أن يهب الحرية لجميع البرايا

أنت تعلم حق العلم اني لم أرسلك الى «بُن» الا لاسهل عليك درس لغة الالمانيين وأخلاقهم وأفكارهم وأنا أعلم انك الى الآن قد استقلت بنفسك في تعلمك فكنت في باطن الامر وحقيقته استاذاً لنفسك ومرشداً وليس ما أخذته عني من الدروس شيئاً يذكر ولكن قد اقتضت أحوال هذا العالم أن توجد مذاهب وطرق لا بدني تعلمها أن تلمس من بنايها والمانيا في يومنا هذا هي مقتبس نور العرفان وهي البلاد التي يجب أن يعرف لها الفضل في الحكمة والعلم والنقد وآداب اللغة ومدارسها الجامعة محط رحال الكثيرين من أفاضل الاساتذة وجهابذة العلماء ولست مع ذلك أدعوك الى قبول تعليمهم على غير بصيرة وتلقي أقوالهم وآرائهم قضايا مسلمة اذن أكون قد تخليت عن جميع الاصول التي أسبر عليها ان للانسان شيئاً لا ينبغي أن يسمح به لاحد الا وهو حرية الفكر فالعلوم التي تتلقاها في الجامعة لا يمكن أن يتسع بها نطاق عقلك ويقوي بها ادراكك ما لم تراقب ما فيها من أفكار غيرك مراقبة ذاتية واياك ثم اياك أن تهك قوادك التي أنت محتاج اليها في العمل بفرط الانكباب على دراسة المعقولات بافئة ما بلغت من الطلاوة وبمدافور فان البحث في المعقولات لا قيمة له الا اذا أدى الباحث الى وسيلة ينفع بها نظراءه والمحب لنفسه من يقصر ثمرة فكره ودرسه عليها لاصراء في ان الاتصاف بالعلم من الامور الحسنة ولكن أجل منه وأحسن أن يكون الانسان محباً لوطنه نافعاً لأهله ولا يعزب عن ذهنك ان المانيا ليست بلادك وان آثار سلفك هي حكمة القرن الثامن عشر وان أمك هي الثورة الفرنسية.

آلمني عبارة من مکتوبك وهي قولك «اني أحياناً آانس من نفسي فتورا في الهممة وضعفاً في المزيمة وأسائلها عما أصحح له من الاعمال وأنا ضائق بذلك صدرأه فاعلم انه ليس من الضروري لتحقيق النفع في الانسان أن يكون من كبار الرجال فأيمسا رجل صدقت نيته في فعل الخير وصح قصدده للنفع فإنه يغير من حالة القوم الذين يعيش

فيهم بقدر ما من التغيير وعلى كل حال ليست الحياة النتيجة القيام بفروض صغيرة فمن أداها كلها بما في وسع من الوسائل كان في الغالب أفضل ممن يسمى في الاشتهار بعمل خطير وليس شيء من أفكارنا ولا من أعمالنا بضائع علينا فان آثارها تظهر فيمن حولنا من الناس أو فيمن يخلفونا ومن ذا الذي يستطيع أن يقول ان الحركات الكبرى التي غيرت أحوال العالم من جهة السياسة وال عمران لم يكن فيها المستضعفين الحاملين من الخدمة والعمل ما للرؤساء المسيطرين كلابل ربالم يكن ظهور هؤلاء واشتهارهم الصورة منمكة افضائل أو تلك ومساعدتهم المحمودة

اقع بأن تكون كما أنت مع مواصلة السعي في تمية شرائك وتوسيع نطاق مواهبك بالأدب في العمل والمدارسه وإذا احتجت في بعض أوقاتك الى تكبير دائرة وجودك فتصفح دواوين الشعراء الحقيقيين وكتب أئمة النظر المشهورين وتمتع بما تجده في نفسك عند مطالعتها من عظم القدر وسمو المكانة الذي يسري اليك منهم فان في ذلك غبطة لا يحيط بها الوصف فاذا هبطت من هذه المقامات العلى لم تصدم حولك من النفوس الصغيرة المحتاجة للاستضاءة بنور العلم من بغضك الاشتغال بهم عن الاهتمام بغيرهم ومن صنائع البرمافيه تسليه لك عما يهوزك من الخصائص واعلم انه لا يتألم مما في عقله من مواضع الضعف والقصور الا يحب لنفسه أو خيبت واما من يستسلم ويرضى بقدمته ويتعالم ليكمل فانه لا يطلب فوق ما قسم له من العقل شيئاً بل يكون معتبطاً به غير حاسد لغيره

أراك أيضاً تغلو في الاهتمام باختيار مآخراسه من الاصحاب فانه وان كان عما لأمرية فيه ان كل فرد من الناس يجب عليه أن يعيش من كسبه وكده واني أعتم لورأيتك مفرطاً في هذا الأمر الذي هو أول فرض على الانسان ينبغي أن تعلم ان جملة الدروس التي تلقاها الآن مع كونها تؤدي الى جميع الحرف لا تتفتح لك باب واحدة منها ولا أرى في ذلك ما يدعو الى كدرك لان كل علم تحصله هو ذخيرة لملكك فان لم يندك في نفسك فقد تجدد فيه وسيلة لنزع غيرك على ان ما في الكون من طوائف الامور المختلفة وطبقات الحوادث المتباينة مرتبط بعضه ببعض فلا بد في معرفة أمر منها معرفة صحيحة من معرفة أمور كثيرة لها بهذا الأمر تعلق بعيد ولست بهذا القول ألزمك السعي في تحصيل ما يسهل

بالعلم العام الذي هو ضرب من الخيالات والاهوام وانما أريد به تفهيمك ان للمعلوم قضايا عامة لا بد لك من تصور حدودها الاصلية قبل تفرغك لتحصيل علم منها على حياله

أنت ولي أمرك في الحكم على ما يلائمك من الاعمال وليس عليّ الا أن أسألك عدم التأمي في ذلك باخوانك من الطلبة فكن كما يرشدك اليه خنقك وميلك اما طيباً أو محامياً أو مهندساً أو صائغاً أو آلياً أو غير ذلك ولكني أسألك بالله أن لا تكون تاملاً للحكومة

أي حرية ترجي تقوم يتطلع المسلمون من شبانهم الى الانتظام في سلك عمال حكومتهم قد كان فن ظلم الحكام للناس في الايام الخالية من القنون الصعبة الكثيرة المشكلات التي يلزم لتصلها استعداد خاص ونفس كنفس مكيا فيل (١) وأما الآن فيظهر من أحوال الرعية أنهم يضنون أشد العناية بكفاية حاكمهم مؤنة استعبادهم بالحيلة أو القهر لانهم يتهاقنون على احتمال نير عبوديته فأبي ملك أو غاهل يجد حول أريخته رؤوساً خاضعة واطمئناً سافلة نهمة كاطماع الكلاب التي لأهم لها الاقضم النظام مادام بين يديه من الاموال الوفرة ما ينقسه كيف يشاء ومن المناصب وألقاب الشرف والرتب الكثيرة ما يورثه على من يريد

ليس الاحقاد والوقاحة مقصودين على احداث المانيا فانك حينما حلت نجد من الشبان من لا يمتقدون بشيء ولا يوقرون شيئاً فكن منهم على حذر لان هذا الفسوق العقلي يساعد قطعاً على تثبيت الأوضاع القديمة ذلك ان هؤلاء الذين يدعون لانفسهم حرية الفكر لم يخلصوا من قيد الأثرة ومن هذه الجهة تأخذ الحكومة منهم بالنواصي والاقدام أعني ان عبادتهم لنجح مساعيهم وطمعهم في الوصول الى ما ينتفون وطمأهم الى المناصب والتمتع بمرتباتها الجسيمة لا تلبث أن تدعوهم الى توقيف النظام الذي صنته الحكومة واجلاله واني لأعتد بجرأة الفسقل مالم تصحبها بسالة النفس وتزهاها عن الاعراض ثم انه مهما كان بلوغ كل أمنية في الدنيا ممكناً بمحض هوى الغير ورضاه لم

(١) مكيا فيل هو أحد رجال الحكومة الايطالية ومن كتابها المشهورين ومن

يعدم المستبدون عبيداً متحمسين في خدمتهم يعملون لهم ما يشاؤون وتجد من كانوا من الشبان بالأمس منطقيين متحذلقين يصبحون وهم أكثر الناس سجوداً للقوة واستكافة للسلطان *

ولاية أعمال الحكومة هي بلاء الأمم في هذه الأيام فالبلاد التي رئيس حكومتها هو الذي يوزع مناصبها لا يمكن أن تكون آراء الناس فيها الا نتيجة عمل حسابه ليس يرج منها فاذا وقع خطأ سياسي أو ديني من الحاكم وكان ينتج للموافقين عليه بهد الحساب عشرة آلاف فرتك مثلاً فانه يصير حينئذ سواباً واذا أتى أمراً خفياً ودفع ضعف هذا المقدار قيل انه قام هذه المرة بما تدعو اليه الهمة والبسالة فيجب الاخلاص له يلهج الناس كثيراً بذكر الرأي العام ويقولون انه أقوى كفالة لاحق والحرية وهو صحيح اذا كان أمر الامة يدها وكانت هي التي تلي شؤون إدارتها وأما اذا كان حالها غير هذا فالرأي العام نفسه قد يكون فيها آلة للاستبداد فان أكفل وسيلة لظلم الامة هي اعدام شرف النفس من افرادها وازهاق روح الاستقلال بينهم تجيب الحكومة القائمة اليهم وحملهم على رجاء بقائها * ورب قائل يقول ان عدد العمال في الحكومة لا يذكر في جانب السواد الاعظم من الامة: فأجيبه ان هذا الاعتراض عبث لانه قد نسي ان بازاء كل عامل نال منصباً ألفاً من الناس يطلبونه ويرجون رجاء قوياً ان ينالوه يوماً من الايام فعالم العمال يكاتفه عالم آخر من السائلين ومن ورائهم جميع طلاب الاموال واذا كان تحرير الناس من الاستعباد لا يتأتى الا متى أعانوا عليه بارادتهم فأى وسيلة تبصهم على ارادة التفصي من ربقته اذا كان فريق منهم وهم الذين تقوم لهم الحكومة بنفقات مطعمهم وملبسهم ومسكنهم قد بلغت بهم الحال الى أن يكون استعبادهم قوام معيشتهم والفريق الآخر يخطونهم على هذه النعمة ولا يأسفون الاعلى مجزهم عن مشاركتهم فيها

ولست أقصد بهذا القول ان من لوازم المناصب العامة تصفير نفوس القائمين بها أو الساعين في تقلدها حاش لله فانها في الحكومات الحرة كحكومة أمريكا مثلاً من شأنها أن تنمي فيهم قوة العزيمة ومكارم الاخلاق لان الحكم في اختيارهم راجع الى انتخاب الامة ولانهم انما يملكون بالاعمال مرووراً ولان جميع الولايات لا تلبث

أن يهود أمرها إلى الأمة فتقلدها من تضامون هنا يهام أني لأنكلم عن الامم التي حكوماتها مؤسسة على الشورى وانما أنكم عن الحكومة التي تولى الاعمل فيها بالمحابة والهوى فشبها يتدلون ويصفرون بسمهم في تقلد تلك الاعمل لان حكومتها لاتبني في الحقيقة الانفوساً سلسة القيادة تلصق بما جرى عليه العمل من التقاليد الادارية وطباعاً لينة عطفت على كل ناحية فلم تبقى لها وجهة ذاتية وعقولا مثقفة ولولم تسم عن عقول العامة تستعمل زخرف القول في تصوير ماوضع من النظام بصورة مقولة، واني لتمر بي ساطات أحدث فيها نفسي بأن من ظلم الشعوب أن يلوموا حكامهم على استعبادهم فأني معنى للومهم اذا كانوا قد جعلوا مقادتهم بأيديهم وكان الآباء لايتضون لابنائهم الاتقلد المناصب ذات الرواتب العظيمة التي لاعمل فيها بدلا من صرفهم الى وجوه الكسب الاخرى بل اذا كان كل اناس يؤمنون أن يكونوا عائلة على المصلحة العامة ويودون لو أن للحكومة من العقل والوراعة ما يكفي لتعني من الاتفاح بما يقدمونه لها من الفوائد فما أسخف عقولهم إذ جعلوا أنفسهم تراباتهم يدهشون من وطء الحكام اياهم

أنا لأنكر أن نيل الشاب منصباً من المناصب الكثيرة المقررة في الحكومة أسهل عليه كثيراً من أن يفتح لنفسه باباً للكسب في قومه بمجدارته وأهليته الذاتية ولهذا لايلبث الانسان أن يعرف الامم التي اعتادت الارزاق من حكوماتها لما يكون فيها من فساد الاستعداد لانشاء الاعمال وابتكارها فترى الصناعة والزراعة والتجارة تنساق في مجرى العادة بتكلف وجهه والاموال تمحذرا الخروج من جيوب المتولين والتدابير التجارية التي تأتي الحكومة حمايتها يشق عليها كماقال ان تطير بأجنحتها والصناعات الحرة تحوم حول السلطان لنيل الاعمال والمحابة وترقب فرصة التطفل على مائدة المصلحة العامة وآداب اللغة والسنون تتأثر بقوة السلطان وتبدلي بتدلي الحياة العامة التي يحطها سلطان رجل واحد وحاجة التفذي من يد الحكومة تزيد على الدوام عدد طائفة الندمان والمعلقين

كأنني بك تقول لي إن ذلك الذي وصفت سيب في شكل من أشكال الحكومة وذهب لمجموع الأمة التي ترفض هذا الشكل وانه ليس مما يمتد به كثيراً أن يزيد عدد عمال الحكومة واحداً أو ينقص واحداً لانهم جيش لايمده فأحييك على هذا بأنني لست أجهل

ان واحداً من الناس ليس في قدرته أن يعبأ حوال الأمة بأسرها ولكن اذا ارتكن كل فرد من افرادها على هذه المعاملة فاستسلم للتيار المحترم الذي يسوق غيره فلا ينبغي أن يرجح شرف للأوضاع القومية ولا حرية للناس. إن الأمم اذا تدلت وفتت فيها عدوى الناسي وجب على كل انسان حقيق بأن يسمي انساناً أن يرفع لها من نفسه لواء المجدي يدعوها الى النهوض فانها لا نهض من انحطاطها الا بالمجاهدة وبذل القوة الذاتية وكم من رجل يشكو من خسة السراير في قومه ويتألم من دناءة نفوسهم وهو شريك لهم بالواسطة في فعل ما دأبوا الي هذه الحالة بكثرة خشيتهم ومخزجه في سيرته فانه اذا تعفف هو عن تولي المناصب الرسمية قد يريدها لابن أخ له أو لاحد اللاتنين بيته وهذا يصير شريكاً في الضرر الذي يتدب سوء مقابله

هذه يا بني افكاري قد انضيت بها اليك صراحة فان كنت لا بد راغباً في بلوغ منصب رسمي فوسيلتك اليه ميسرة جداً وهي أن تذل وتستكين وأما اذا فضلت كرامة نفسك واستقلالك وشركك على اللزيمه التي تجدها في سهولة فتح باب الكسب وسرعته فاني أهنتك عليهم من صميم قوايدي ولكن لا بد لك حينئذ أن تعرف ما أنت داخل فيه فانك بتنازلك عن رعاية الحكومة تضطر الى كسب قوتك بالعمل والجهاد ولا تجدد من أحد جدياً على كدك ونصبك وترى كثيراً من الناس يسخرون من بسائلك واقدامك فعلاهم محبوبونك اذا كنت تسفهم وزري عليهم بالتهج الذي تسير عليه في عملك وفكرك

أخدم الأمة ولا ترج منها جزاء ولا شكك وراً فانها لا تملك ما تجزيك به لانه ليس يدها شيء من أموال البلاد ولا من ألقاب الشرف ولا من وسائل التوبه واعلاء الذكر وعلى انها قد تنكر مالك من حسن النية في خدمتها فليس عليك حينئذ الا الاعتماد على قوايك الجسدية والعقلية... وانه ليس في هذا الانكار المتوقع ما ينبغي أن يريك فليست أهم مسألة للانسان في حياته أن يبلغ مقاماً سامياً بل المسألة الكبرى هي أن يكون قدره أعلى من المقام الذي يشغله

وأما أخبار البيت فمنها ان لولاء عهدت الى إعلامك بأن طيوروك وزهوروك في حالة راضية وان دفائنك بعد ان حفظت في بطن الارض مليونين أو ثلاثة من السنين سالمة من التغير قد تغيرت قليلاً من غير لندرة ودخانها وبأنها قد تربت مجموع حشائلك وانها أشدك ذكرامك لها

وفي الختام أقبلك أنا وأمك قبلة الوداع ورجو أن تكون دائماً على علم بدروسك ومقاصدك وحالة مصيبتك فكل ما يتعلق بك يمينا ١٠هـ

أشهر مشاهير الإسلام

الجزء الأول من كتاب أشهر مشاهير الإسلام

قد صدر الجزء الرابع من هذا المجلد وهو في سيرة الخليفة الثالث عثمان بن عفان ومن أشهر من رجال دولته وصفحاته ٢٢٠ وقد كان مصنفه (رفيق بك المظم) وعبان صيوجز القول في خلافة عثمان وعلي (رض) تحامياً للخوض في مسألة الخلافة ومثار الفتن في الأمة فما زال به محبو التاريخ وطلاب الحقائق من قراء كتابه حتى أرجعوه عن رأيه وأقعوه بوجوب بيان تلك الحوادث بطلها وأسبابها وتأثيرها ومعالجاتها فأقدم على البحث بما مهد فيه من الأدب والأخلاق، وبالبعد عن التشيع والاعتساف، فجاء بمصاص الأخبار، واستخرج منها آيات العظة والاعتبار، ولم يأل جهداً في حسن الاختيار، واستنباط الحكم والأعذار والعظاماء الصحابة الأختيار.

تصفحت جل ما كتبه في القصة التي أدت إلى قتل عثمان (رض) فقرأته قد حصر ما قصه الناس من عثمان بحق في غلبة بني أمية على أمره حتى استبدوا بالامردونه واقتاتوا عليه وحملوه على الرجوع بما عاهد عليه المسلمين وتاب عنه في محفل كبراء المهاجرين وبين أن أهل الرأي ورجال الشورى من الصحابة خافوا أن يجملوا الخلافة أموية تقوم بالعصية لأقرنية تقوم بالاعتجاب والشورى الشرعية، وكشف الحجاب عما كان هناك من الجمليات السرية التي تخرض الناس على التآب على الخليفة وإلزامه بإبعاد دهاة بني أمية عنه أو اعتزاله وخلع نفسه، وبين أنه لم يكن أحدهم من كبراء الصحابة وزعمائهم يعتقد أن الأمر يصل إلى ما وصل إليه وأنهم يتولون الخليفة ظلماً ولم يفعل فعلا يبيح دمه، واتحل لثمان أحد عذرين في الاعتصام بقومه أحدهما أنه علم أن رجال الشورى الستة كل منهم يريد الخلافة لنفسه وله أنصار فخاف أن يترك أنصاره الأقربين من بني أمية فيختلف القوم دونه ويتوثب عمال الأمصار عليه فلا يجده عاصماً لذلك ولا هم الأمصار وزاد استمساكهم بهم حين سئل التخلي عنهم، وثانيهما أن قومه استلوا جانبه واستضعفوه فطلبوا على رأيه فيهم. أقول إن الثاني هو الصواب وبدل عليه تهويله على تخية من وان

وذريه وتصريحه بذلك في خطبته التي بكى فيها وأبكى الناس (وهي في ص ٧٩٧ من الكتاب) وفيها ان بني أمية قد استحوذوا على عمان بعد ذلك وملكوا جنانها لكبر سنه وضعفه فمذلوله واستذلوه واقنات عليه مروان بما اقنات .

يعلم كل من قرأ تاريخ المسلمين أن تألب الناس على عمان لم يكن يرجى له صدق الا باعترافه بالخلافة وخلع نفسه منها أو بهزل مروان وغيره من دهاة بني أمية الذين غلبوا على أمره وتقلدوا معظم أعماله وقد علمت رأي المصنف في الأمر الثاني وأما الأمر الأول فقد ذكر أن لامتناع عمان عنه أحد أسباب ثلاثة ١- ضعف الإرادة الذي هو أثر كبر السن، ٢- الخوف أن يسجلوا عليه ما تمهوه به من الأحداث وهو يعتقد أنه لم يستحل فيها محرماً ٣- العمل برأي مروان وأضرابه الذين كانوا يملكون ان أمر الملك لا يتم لهم الا بإرادة الدم والثالث هو الصواب وربما كان غيره داعماً له ولولا ذلك لكان يمكن أن يقال ان امتناعه من اعتزال الخلافة مع تألب الناس عليه وحصرهم اياه هو من قوة الإرادة لا من ضعفها . ومن فصول الكتاب الذي تستحق أن يثبه عليها ويلفت اليها فصل عقده لاثبات عدم تحامل رجال الشورى على علي كرم الله وجهه ويان أن خلافة كل واحد من الراشدين جاءت في وقتها اللائق بها

ورأيت صديقي المؤلف قدأكثر القول بهذا الجزء في تقرير رأيه في الخلافة والحكومة الاسلامية وبيان ضررها يتكره منها ويهدد أصل البلاء وعلّة الضعف والشقاء وهو أمر ان عدم توفر شروط الشورى والاختيار في البيعة بحيث كان شكل الخلافة وسطاً بين الشورى والاستبداد او بين الحكم المطلق والحكم المقيد اذا تباطوا بالخليفة جميع الأعمال، وثانيتها اصطلاح المسلمين في حياتهم السياسية بصيغة الدين وعدم الخليفة رئيساً دينياً

قرأ المناظر فون رأيه في هذه المسألة ولم ينسوا المناظرة التي كانت بينه وبين أحد علماء الهند في هذه المجلة . وأقول ان هذه المسألة الكبيرة لم تحل فيما كتبه فلا تزال في حاجة الى التحرير وكان وعدنا بكتابة رأينا فيها التفصيل ولما سمعنا الفرص بذلك . ونقول هنا ان ما جاء به الاسلام في ذلك وما كان من انتخاب الخلفاء الراشدين وسيرتهم يصدق عليه قول الامام الفزاري في نظام الوجود العام وليس في الامكان أبدع مما كانه الا ما كان

من إصرار عثمان على إمساك مروان وغيره من ذوي قرابته الذين تقم منهم المسلمون ولقد يظهر للمؤرخ الذي وقف على نظام الحكومات النيابية في هذا العصر أنه كان ينبغي للراشدين أن يعضوا نظاماً مثله واذ لم يفعلوا فلنا أن نحكم بأن عمالهم كان ناقصاً ومثال هذا مثال من يشكر بعض مظاهر الوجود التي رأى من جنبها ما هو أحسن منها غافلاً عن إمكان ذلك وعدم إمكانه بحسب سنن الكون العامة

الحكومة النيابية المنتظمة القائمة على أساس الشورى والاختيار لاتصل إليها الامم الا بعد أن تتربى وتعلم في مدرسة الحكومة الاستبدادية زمناً طويلاً فلم توضع حكومة نيابية منتظمة على وجه الارض بمجرد الرأي والاستحسان من افراد أسسوها وأقنعوا الامم بأن فيها مصلحتها فقامت بها وثبتت عليها اقتناعاً بقولهم وعملاً برأيهم وإنما كان تأسيس الحكومات النيابية والجمهورية بما نعلم ويعلم صديقنا مؤلف أشهر مشاهير الاسلام ثم كان تقدمها وثباتها بالتدرج بمدار تقاء الامم في العلوم والاعمال الاجتماعية بالتدرج ايضا

كان يقول كما يقول بعض الناس انه كان ينبغي للمسلمين أن يتعلموا كيفية تأسيس الحكومة النيابية من جيرانهم الرومانيين ثم هو يحذر الآن عن الخلفاء الراشدين بأن الحكومات النيابية كانت بعيدة العهد يومئذ من مجاورتهم الرومانيين فاجأوا الى إناطة كل شؤون الدولة السياسية والدينية بالخليفة (ص ٦٧٩) فيالله وللرومانيين هسل كانت قوانينهم ومجالس شيوخهم ونوابهم عاصمة لهم من السقوط في هوة الاستبداد ثم من تحويل الجمهورية الى امبراطورية ألم يكن الاشراف هم أصحاب المجالس والحقوق والموام لاحقوق لهم؟ ألم يكن الدافع لملك سرفيوس المصالح الى منح الموام جميع الحقوق الرومانية هو التخاض من أثرة الاشراف وظلمهم وشدة فرقة منهم؟ ألم يأت بعده الملك الطاغية تاركاً بأشد ضرر وبالأستبداد تشويهاً فأفقد كل ما كان أصلاً حقه سرفيوس؟

وكان يقتل كل من يتوسم فيه عدم الاخلاص له من أعضاء مجالس الشيوخ والاعيان ويسخر الالهالي لاعماله الخاصة حتى كانت مظالمه العامة هي السبب في تأسيس الجمهورية سنة ٥١٠ ق م لم يحول أعطس قيصراً للجمهورية بعد استقرارها الى امبراطورية سنة ٢٨ ق م أولم يحول نابليون الجمهورية الفرنسية الى ملكية ويفعل فعله بمجالس النواب على ان شعب فرنسا كان ارتقى من شعب رومية يومئذ؟

هل تأسست الجمهورية الرومانية قائمة؟ ألم يكن ضباط الجيش هم الذين ينتخبون النواب في الحكومة الجمهورية؟ ألم يكن هؤلاء الضباط وعسكرهم آله في أيدي الاشراف المستبدين؟ ألم يقاوم الاشراف اقتراح «فولير» وأن يكون الشعب هو الذي ينتخب نوابه حتى تار الشعب ونال هذا الحق بالثورة سنة ٤٧١ ق م؟ هل نال الشعب بعد هذا حقوق المساواة الا بالتدريج إذ نال المساواة في الحقوق المدنية سنة ٤٥٠ ق م والمساواة في الحقوق السياسية سنة ٣٩٧ والمساواة في الحقوق القضائية سنة ٣٢٩ ثم لم يتم له حتى المساواة في الاعمال القضائية الا بعد سنين، والمساواة في الدين سنة ٣٠٢ ق م؟

أولم تكن المساواة في جميع هذه الحقوق عامة في الحكومة الاسلامية من أول يوم

لاصطباؤها بصيغة الدين الذي يخضع المتدين لاحكامه عند ما يسمها؟

نعم كل هذا مما لا ينكره عارف ولولا ان كانت أركان الحكومة الاسلامية قائمة على أساس الدين لما استقام للمسلمين حكمهم ولما وجد ذلك المدل العام الذي لم تكتحل عين الزمان بمثله حتى اليوم فان الدولة الانكليزية التي هي أرقى الامم الاوربية في حكومتها وأقربها من المدل في مستمراتها لاتساوي بين أبناء جلدتها في الحقوق وبين الهنود بحيث تقص من مثل اللود كتنشر لرجل هندي كما أراد عمر أن يفعل بحبيبة بن الایهم ملك غسان وكما ساوى بين عسلي ورحسل من آحاد يهود وكما عد الصحابة من أحداث عثمان التي توجب خلعهم عدم قتل عبيد الله بن عمر أمير المؤمنين بالهرمز ان الفارسي الذي قتله لقيام القرينة عنده على إنغرائه بقتل أبيه أمير المؤمنين وان استرضى عثمان وليّ الله بماله الخ الخ

وسنئين في مقال خاص بهذه المسألة كيف كان ماعمله الراشدون هو المتعين الذي لا يمكن أن يكون خير منه يومئذ وكيف كان الفساد الذي طرأ على الحكومة الاسلامية فأضغف الأمة وزعزع الملة محصوراً في هدم بني أمية للقواعد التي وضعها القرآن للحكومة الاسلامية وأيدتها السنة وهي ابطال العصية الجنسية وجعل أمر المسلمين شورى بينهم والاذن لاولي الامر وهم أهل الحل والعقد باستبطان الاحكام مجتمعين وإيجاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بانقول والفعل

وجملة القول في هذا الجزء من كتاب أشهر مشاهير الاسلام انه من أنفع الاجزاء

وأشدها عظمة وتذكير أبحال سلفنا «وما يتذكر الأولو الألباب» وهو مطبوع طبياً حسناً على ورق أجود من ورق الأجزاء الأولى وثمن النسخة منه ثمانية قروش صحبحة وأجرة البريد قروش ونصف ويطلب من مكتبة المنار وغيرها

﴿ تاريخ التمدن الإسلامي ﴾

قد صدر الجزء الرابع من هذا الكتاب لمؤلفه جرجي أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو خاص بالبحث في سياسة الدول العربية في الشرق والغرب وقد جعل الكتاب أبواباً غير عنها بالصور فأولها العصر العربي الأول وفيه الكلام عن حال العرب وعصبيتها قبل الإسلام وعن الأرقاء والموالي والأجانب والسياسة في الجاهلية ثم عن سياسة الخلفاء الراشدين وسياسة الأمويين وأحداثهم في الدولة والإسلام، وثانيها العصر الفارسي الأول ويعني به زمن نفوذ الفرس واستبدادهم في الدولة العباسية من خلافة السفاح سنة ١٣٢ إلى خلافة المتوكل ٢٣٣ وفيه الكلام عن سياسة العباسيين وحرمتهم والعصية العربية في زمنهم، وثالثها العصر التركي الأول وفيه الكلام عن الجند التركي في الدولة العباسية وعن الخدم ونفوذهم وتأثير النساء في سياسة الدولة وفي هذا العصر كان مبدأ فسادها وسقوطها ثم الكلام في نشوب المملكة العباسية وانقسامها إلى دول فارسية وتركية وكردية، ورابعها العصر العربي الثاني في الأندلس ومصر وخامسها العصر المغولي أو التتري وفيه الكلام عن انحلال المملكة الإسلامية بقيامة الترك وتكليفهم للمسلمين إلى أن نهض العثمانيون بتكوين دولة جديدة قوية، هذا موضوع الكتاب وهو من الفائدة بالمكان الذي يستغني فيه عن التوبيه به والحث على مطالعته، وأنا لارجو أن يأذن لنا الزمان بفرصة نطالع فيها هذا الجزء وما سبقه بالتدقيق لتمطيا حقهما من النقد والتعريف فنكون من الشاكرين لمؤلفه على اجتهاده العظيم في هذه الخدمة لتاريخنا المبعثر في كتب الأخبار والآثار

﴿ مرشد الهدايات، إلى واجبات الخلاقين والدايات ﴾

كتاب جديد للدكتور أحمد أفندي الدرندي مفتش صحة الفيوم، ويعني باللاقين الأطباء الذين خصتهم الحكومة بالكشف على الموتى لتحقيق موتهم ولمعرفة

سببه وبالتبليغ عن الامراض الروبائية والتلقيح لمنع الجدري، وينفي بالدايات القواش.
والكتاب يشرح الامراض التي يتماق بها عمل الفريضة وبين ما يجب عليهما فله
ومباحته نافعة ينبغي اطلاع كل قارىء وقارئة عليها ليكون الناس على بصيرة من الامراض
التي تعرف لهم ولين يمشوا مهمم فله وثم الكتاب الشكر أن طبع هذا الكتاب
ومن الشكر الاقبال عليه

﴿ديوان الرافعي﴾

قد طبع مصطفي صادق أفندي الرافعي الجزء الثاني من ديوانه وشعره فيه يدخل
في ستة أبواب أولها باب التهذيب والحكمة وثانيها باب النسائيات وثالثها باب الوصف
ورابعها المدح وخامسها الفزل والتهيب وسادسها الاغراض والمفاطيع وصفحات هذا
الجزء تبلغ ١٢٠

ومما يذكر له أنه أكرم ديوانه عن مدح زيد وعمر وخالد وبكر فلم يمدح من عظماء
الدنيا غير السلطان وأمه مصر ومن عظماء الدين ورجال العلم غير الاستاذ الامام
(رحمه الله تعالى) ومن الاغنياء غير أحمد باشا التشاوي أيام وفق للاحسان بماله ولهج
الناس بوقفته، ومن باب النسائيات قوله في المرأة المصرية:

أنت أنت مغي أمس وحل غد	أنت عليك وان لم تشري الامد
الا ويؤلمه في عينه الرميد	فهبك عيناً فما من الناس ذو نظر
الا ويوجعه في قلبه الكمد	وهبك قلباً فما في الخلق من رجل
أليس يحمل ما تنلي به الكيد	وهبك من كبد في جنب صاحبها
ومن زجال أمانتها وما رشدوا	تجيت لامرأة هانت وما اعتبرت
ولا ميسر الا ذلك الجسد	كلاهما رجل في الناس وامرأة
يستعد الككل حتى النهر والبلد	وكل ما حوهم في الذل مثاهم
ولا بلاد ولا أهل ولا ولد	يا بنت مصر ولا قوم تنزيمهم
غني النفوس وهذا الجهل والفند	زانت عيون بني مصر وضل بها
وفي نواظر فلاحهم وتد	فانت في نظر الراقين سائمة
صفر اليسار به يستكمل المدد	وانت بينهم في كل منزلة

أقم في رأسك الجهل الذي سلفت
وما يحلان يتساكبان في رعد
(فالسحر والزار والاسياد) جعلتها
مأنت في الصين والاوغان قائمة
تألق لو كان من علم وتربية
إذا لما سخرت من بت جمعها
فهل أرى رجلاً فينا أو امرأة
ياقوم لو نام لث الغاب نومكم

فهذه القصيدة تشعر بأن الشاعر يرى وجوب تعليم النساء ليسلمن من الاوهام
والخرافات ولكن له مايدل على خلاف ذلك كقوله في المقاطيع :

ياقوم لم تخاقى بنات الورى
لنا علوم ولها غيرها
والثوب والأبرة في كفها
وأحسن ماقرأت في هذا الديوان قوله في قنون من الوصف وذكر الليل
تقاصر عمر الزمان الطويل
وضاق به الأفق ضيق القبور
وراح خفت هموم القلوب
لقد كدت أبيض لون الظلام
طوى الشمس فاختبأت أختها
وكانت إذا احتجبت قبله
ترى البدر غار فأغرى بها
أم الحظ أرسل لي ذا الدجى
أم الليل قد قام في مائمه
ولم أنس ساعة أبصرتها
وقد خرجت لتهزى السماء



هل مركب اشبهته البروج تمر به كالبروق الخيول
 اذا قابلته لحاظ الميون سمعت لاسياهن صليل
 وان قاربته ظنون النفوس رأيت النفوس عليه تسيل
 وقد اخرجت نفحات لرياض زكاة الرياحين لابن السيل
 وقد عبث الدل بالفانيات فذي تهادي وهذي تميل
 تأن الحواجب قوس فما تحرك الاجبت عن قيل
 كأن القلوب أضلت قلوبا فكانت لحاظ الميون الدليل
 حمام في حرم آمن بهذا الضلوع بناء الخليل
 وما راعها غير لون الدجى يصدىء لوح السماء الصقيل
 فيأبجع الليل من قادم بوجه الكذوب ومرأى العذول
 بيض الينا على ذله وثمر من الذل بغض الذليل
 وكم عزني بالاماني القى ارتني ان زمانى بجيلى
 ومن امل الناس مالا ينال كما ان فى الناس مالا ينيل

وَمِنَ النَّسْخَةِ خَمْسَةٌ قُرُوشٌ وَاجْرَةُ الْبُرَيْدِ قُرْشٌ وَيَطْلُبُ مِنَ الْمَكْتَبَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ بِمَهْرٍ

حقوق المرأة في الاسلام

أيقظت المدينة الاوربية العالم كله ووجهته الى حياة جديدة من العزة والقوة
 فن الشعوب الشرقية من سار الى هذه الحياة من طريقها فأدركها وهكل من سار
 على الدرب وصله وكل قاريء يعلم ان هذا هو الشعب الياباني وهناك قوم آخرون
 من الوثنيين فى الهند يسرون على هذه الطريق ولو كان لهم استقلال فى الحكم
 لصاروا دولة عظيمة ه وأما الشعوب الاسلامية فقد وقفت أمام هذه المدينة موقف
 الحائر لا تدري كيف تستفيد منه وأول شعب اسلامي ولي شطرها هو الشعب المصري
 فان حكامه حاولوا اقتباس هذه المدينة منذ مئة سنة ولكنهم لم يسيروا اليها من طريقها
 فكانت العاقبة ان احتلت بلادهم دولة اوربية فى الربع الاخير من القرن
 لم يوجد للمسلمين حكومة تقودهم فى الطريق الموصلة الى النافع من هذه

المدينة مع التوقفي من مضارها ولم يكن لهم زعماء في الدين والعلم اذا قالوا يسمعون، وإذا هدوا يتبعون ، بل ظهر في شعوبهم المتمتعة بشيء من وشل الحرية او عمرها (كسلمي روسيا والهند ومصر) كتاب ومؤلفون يدعون الى شيء من الاصلاح الاجتماعي الذي حولت العالم اليه مدينة اوربا ولكن صوت العارف الناصح من هؤلاء الكتاب يكاد يخفي بين ضوضاء الفوغا من المتطفلين والمقلدين والمتجرين بالكتابة والصحافة ولا غرض لهم منها الا رضاء عامة الدهماء ، او التزلف الى بعض الحكومات او الرؤساء ، ولو من الاجانب والغرباء ، والدهماء في جهل ميين، لا يميز بين الفث والسمين .

لا يكاد يوجد اصل من اصول الاصلاح الذي يحتاج اليه المسلمون الا وله في دينهم دليل يرشد اليه ، او سبق عمل يعول عليه ، وقد حكموا التقاليد والمعادن في اعمالهم فلا الى هدي الدين يرجعون ، ولا بما تقضي به حال المصر يعتبرون ، وانما تتدافعهم التقاليد القديمة والحديثة فيندفعون ، ولا يدرون في اي طريق يسبرون ، ولا الى اي غاية يصيرون ،

امامك مسألة تربية النساء وتعليمهن وهي من اعظم مسائل الاجتماع في هذا المصر والمسلمون في حيرة لا يدرون الصواب فيها وقد كثرا اختلاف الكتاب والمصنفين فيها حتى كأنهم في مجموعهم خيال ذلك الشاعر الذي اوردنا كلامه المتناقض في النساء آنفأه صاح بعض الكتاب في الهند ومصر ان علموا النساء وربوهن ، فلا ارتقاء لكم مع جهلهن ، فصاح بهم آخرون انكم مخبطون ، تفسدون في الارض ولا تصلحون ، وقد سمنا في هذه الايام صيحة جديدة من مسلمي روسيا فان أحمد بك آجايف أحد كتائهم المشهورين ألف كتاباً باللغة الروسية سماه حقوق المرأة في الاسلام ونقله الى اللغة العربية سليم أفندي قبعين وطبعه وقدمه الى قاسم بك أمين الذي فتح بمصر باب البحث في «مسألة النساء» بكتابه (تحرير المرأة) ثم كتبه (المرأة الجديدة)

ليني كنت أدري ماذا كان لكتابه من التأثير في بلاده ولعله كان أقرب الى قلوب الجمهور هناك من كتاب تحرير المرأة الى قلوب الجمهور هنا لان الناس هناك أكثر اعتدالاً وأشد استعداداً فيما أظن ولان اسلوب الكتاب يوافق هوى المسلمين عامة

أبرز في صورة الدفاع عن الإسلام والرد على الأجانب الذين يسيئون به الظن، ويكثرون فيه الطعن، فقد ذكر الكاتب شيئاً من إزك الأفرنج واختلافهم في الإسلام، وطعنهم في النبي عليه الصلاة والسلام، ثم ذكر انصاف أفرادهم عرفوا شيئاً من الحق فقطعوا ببعض ما عرفوا، ومن هنا انتقل إلى الكلام في حقوق النساء في الإسلام لأن الأفرنج يبالغون في الطعن بأحكام الإسلام في النساء، ويمدونها من أكبر علل الشقاء، ذكر ما كان عليه النساء في الأمة العربية وغيرها قبل الإصلاح الإسلامي ثم أنه ذكر الأحكام التي انقرد بها الإسلام في ذلك مستشهداً بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأحكام الفقهية على بعض المذاهب وقد انتقل بعد ذلك إلى التاريخ فتناول منه شيئاً من سيرة المسلمات اللواتي اشتهرن بالعلم والأدب، ويقول المؤلف في الحجاب أنه ليس من الإسلام في شيء، ووجه القول أن الكتاب نافع ولا يخلو من أفكار جديدة ويقبل فيه ما يتناوله النقد فشره بما يزيد المسلمين بصيرة في هذه المسألة إن كانوا يطلبون البصيرة ليحلوا بها وأنى لنا العمل ومن ذا الذي يعمل وهذه مصر التي يذكرها المؤلف ويظن أنها عاملة قد كثرت فيها الكتب المؤلفة في تربية المرأة وتعليمها لم تغيب الحال بها بل لا تزال الأمة تدهرج في التيار الذي قد قذفها فيه الحرية الشخصية والنقل بالصورى فيزداد النساء تبرجاً وتهاكواً فمأم تعليم البنات في أيدي الأوربيين والأورد كروم ينادي في تقريره الأخير بما علمه القراء في مقالات (الحياة الزوجية) فنحن في حاجة شديدة إلى مدرسة إسلامية للبنات كالمدرسة التي كان الأستاذ الإمام عازماً على انشائها للجمعية الخيرية وسترى ذكرها في ترجمته رحمه الله تعالى

كتاب الرسائل الزينية

زينب فواز أشهر النساء المتلمات الكاتبات بالعربية لها من الرسائل في الصحف المنتشرة، والكتب والقصص المنتشرة، وقد جمعت رسائلها المتفرقة في الجرائد، وطبعها في ديوان واحد، فإذا هي سبعون أو تزيد، وكل فيها من «مبحث طريف وموضوع جديد، كالكلام في بدعة الزار، وما فيها من الأوزار، وكوصف حفلات الأعراس، في بيوت كبراء الناس، وما للنساء من التقاليد والمادات، في تلك البيوتات، ومن هذه الرسائل مناظرات بينها وبين بعض الكاتبات والكاتبات، ومنها ما هو في وجوب تعليم البنات، و«ومن الكتاب حصة قروش مهيحة يضاف إليها قرش أجره للبريد وهو يطلب من مؤلفته المقيمة في سوق السلاح بمصر

السبع والخمسة

وَالْبَقَا لِيَدِّ قَوْلِ الْحَجَابِ

تبرج النساء بمصر

للكلام في مصر دولة ذات صولة بل له دول متعددة يصول بعضها على بعض والحرب بينها سجال، وأكثرها يقع في عالم من الوهم والحيال، هو بمنزل عن عالم الحقيقة والاعمال،

قال قوم ان النساء أسيرات الحجاب في سجون الحجال، قد استضعفن فاستبدعن معشر الرجال، فيجب تحريرهن من هذا الرق، والمن عليهن بنعمة العتق، فقام آخرون يقولون ان هذا الحجاب، حكم أنزله الله في الكتاب، قالهاون فيه إهمال لديانه، وجناية على المفة والصيانة، وقد أكثر هؤلاء القول وسودوا صفحات الصحف في التلم والشكوى من الدعوة الى تخفيف الحجاب، ونيز من يراه بالالتاب

ليس من غرضنا أن نقول ان هؤلاء أو أولئك مخطفون وإنما الغرض أن نبين ان مسألة الحجاب مسألة كلام ومراء، لا مسألة إرشاد واصلاح، وان الفيرة فيها ليست غيرة على الصيانة وآداب الاسلام، وإنما هي تغاير في ذرابة اللسان وخرابة الاقلام،

نحن نعلم ان نساء المدن الذين يطلق عليهن لفظ الخدرات والمتحجبات، لا يلبفن عثر النساء المسلمات، ثم ان مظهر هذا الحجاب وعنوانه هو البرقع والملحفة التي تعرف بالملاء أو الحبرة وان خلت صاحبتهما بالرجال، وشاركتهن في بعض المعاملات والاعمال، وكان الاصل في هذا البرقع أن يستر الوجه حتى لا يظهر منه الا العينان والاصل في هذه الملاء أن تستر الرأس وجميع البدن فلا يبدو منها شيء،

فما زال هذا البرقع يرق حتى صار يشف عما وراءه فيبدو مستوراً أجمل منه مكشوفاً وما زال يدق من جانبيه ويتدلى من اعلاه والملاء تحمس من حوله فتظهر الجبهة وقصبة الاتق والاذنان واليتان (صفحتا العنق) والوجتان ثم خرجت الملحفة التي تعرف بالملاء وبالخربرة عن كونها ملحفة تستر البدن والياب والزينة فصار نساء الاغنياء

والتوسطن ومن قلدهن من دونهن يستبدان بالملاحفة السارة شمارة قصيرة تتدلى
من الرأس الى المرفقين وكساء من أسيج العمارة يشدهن على خصورهن ويذرون
من أعقابهن ويخرجن ومن كذلك إلى الأسواق والشوارع حاسرات
من ماصهن الحيلة بالاسورة وسواعدهن إلى المرافق وإذا رقت إحداهن
دعا لها بلوراء للرقيق من العصد لأن أردان جلبها واسعة جداً تشبه أردان
بنيان، شيوخ الأزهر *

عندما يراه من صباة تحدراتنا المسجونات وراء الحجاب ، في زعم أنصاره
وإن كان الكتاب ، يخرجن في الأسواق والشوارع تبرج الجاهلية الاولى مظهرات
جميع زينتهن لجميع الناظرين قلاقرط ولا خاتم ولا سوار ولا خنخال ، إلا وهو
معرض في الطريق لا يظن الرجال ، والرأس نصفه مكشوف وكذلك الوجه إلا
ياحلى الغم وأربعة الأتف من تلك الحريرة البيضاء التي تسمى البرقع وما هو إلا من
نوع الثغوف المعروف بالساري (الذي يكون المكتسبي به كالعربان) أو الهنه الذي
هو أرق من الساري *

إن أصحاب القيرة الإسلامية الذين جهلوا على قاسم بك أمين تلك الحيلة أن قال
الربح على المرأتان تستر جميع بدنهما إلا وجهها وكفيها وأن لا تخلو بأجنبي ولا تزيد لأن
عنا هو الحجاب المنروع ؟ ألا يحملون على الواثي أظهرن الثمور والنحور والماصم
والسواعد والمرافق والاعضاد وطفن يتبرجن بزيتن هذه في كل مكان ؟ ألا
يحملون على أزواجهن وآبائهن وأخواتهن وسائر أهلهن فيسفهون أحلامهم ،
ويخرجون غيرهم ، وبأمروهم بامساك أموالهم أن تنفق في إعانة أسائهم على هذا
للتكر العظيم ؟ فلماذا تارت جميعهم على القائل ولم تثر على الفاعلين والفاعلات ؟ فان
رغموا أن القول لا يبيد فلماذا خافوا من ذلك القائل ولماذا قالوا في حقهما قالوا

النساء في بلدن مصر لسن مسترقات فيدعي إلى تحريرهن ، ولسن مظلومات فيدعي إلى
الرفق بين إوتاعهن مسترقات لرجال ، ظلمات لهم في الأنفس والأموال ، والسبب الغالب
في عنادها وجعل الرجال وظيف إرادتهم وسوء إدارتهم فهم غير رؤساء في بيوتهم ، فإذا كان
تعليم البنات وتربيتهم على ما يجب ودهاة المدينة مبياً تهوض الأمة من كبوتها وارتفاع

شأنها لأنهم يريدون الرجال فيكونون أحجاب عزائمهم، ويملمهم فيعرفون حقائق المصالح، كما أنهم يريدون صنفهم على التوفير والاقتصاد، والعمل الموافق لمصلحة البيوت ومصلحة البلاد، فمن المطالب الآن بتربية النساء؟ لأجزم أنهم هن المطالبات بتربية أنفسهن، لأنهم متصرفات بارادتهن لا بإرادة أوليائهن، ولكن هل يسمعن النساء، ويميزن بين ما يدعو إليه الجهلاء والمقلد؟

الحق أنه لا يرجي أن تقوم بتربية حسنة للبنات يرجي منها مقاومة تيار الفساد الجارف الباحثق أمنية الأستاذ الامام رحمه الله وهي إنشاء الجمعية الخيرية مدرسة لهم على الوضع الذي كان عازماً على تقيده في الامام القابل بعد القيام بجمع الاعانة له في هذا الشتاء كما نذكر ذلك في موضعه فاذا كان عدد أهل النيرة على الدين والشرف وعلى الآداب والمدنية كثيراً فليذلو المال للجمعية وهي زعيمة بهذه الخدمة كما كان يريد ويحاول رحمه الله تعالى

خنوثة الرجال وفسوقهم

بيننا في التبذة الماضية أن النساء قد استضعفن الرجال فاتبعن الهوى، وضلن طريق الهدى، وصار التبرج في الأسواق، وابداء الزينة للمصالحين والفساق، سنة في العمل متبعة، وإن كان في الشرع بدعة محرمة، ولذلك يوشك أن تم جميع النساء، لأنهم خلقن موامات بالتقليد في الأزياء، والذنب في ذلك كله على الرجال، فهم الرعاة وعليهم تبعه الاحتلال،

يرخي الرجل لامرأته الطول، بعد أن يبذل لها ثمن ما تشتهي من الحلوى والحللى، ويخرج الى الطرق والمتنزهات، يستشرف للظباء المسامحات، فلا تمر به عذراء الا ويلقي اليها قولاً، ولا تلمحه عوان الا ويطلب منها نيلاً، وقد حماني على هذا الذي كتبت الآن اني رأيت رجلاً في سن الكهولة عليها أثر النعمة يمشيان في شارع من اعظم شوارع القاهرة فر بهما فتانان صديحتا الوجه فكراً على عقيهما يقنقيان أثر البنين وينبذان بكلمات التصبي التي تغني لسامعها نفس الحرق حتى تكاد تقي

صادف هذا المنظر من نفسي أشد الاستهجان على اني لا اكاد اصرف في شارع ولا

أطل من كوة الا وأرى ما يحاكيه او يزيد قبحاً وشناعة وكان السبب في ذلك اني
توهمت الادب والكمال في الكهاتين

رأيت منذ ايام شابا يتأثر فتاة في جادة واسعة في احد جانبيها قامة واقذار
فكان كلما دنا منها بدت عنه حتى اضطرها الى المنهي في ذلك الجانب القذر فرأوا
من قذارة نفسه وتين أخلاقه وما كان امتعاضي من هذا المنظر الا دون امتعاضي من
منظر ذنك الكهاتين اللذين كانا يتكلمان بما يمد في المرف البهدي ظرفاً وذوقاً

ما كل متبرجة بني او ملتصقة خدن بل فيهن المقلدة في الزي كيلا تعاب بين
النساء بالهجز عن مجازاة صنفها او بالتأخر فيما يسمونه «الموددة» ولكن هذا التبرج
مطعم للفساق - وما اكثرهم لا اكثر الله من أمثالهم - ولهم العذر فقد ورد
في الحديث «أيمنا امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية» رواه
ابن خزيمة وحبان في صحيحهما . ودخلت امرأة من سرينة المسجد ترفل في زينة
لها فقال النبي (ص) «يا أيها الناس انبها نساءكم عن لبس الزينة والتبخر في المسجد
فان بني إسرائيل لم يلبسوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخرن في المساجد» رواه ابن
ماجه والتبخر في الشوارع والمنازه ادعى إلى الفتنة منه في المساجد فهل من ذي
نفس ايده وغيره اسلامية، يسمى في ابطال هذه الازياء الفاضحة، والمماهي القاذحة،
وهل للكتاب أن يحملوا على هذه العادات الشائنة حجة منكرة في الجرائد لهم يفيدون

الحداد والمآثم

وقفت على عادة من عادات البيوت في الحداد لم اكن أعلم بها من قبل وهي
ان النساء يفرشن البسط والطنافس في البيوت متلوثة ويحملن على الارائك والحمايا
التي يجلس عليها نسيجاً أسود ويغيرن سائر ما في البيت من الأثاث والمتاع بعضه بالقلب
وبعضه بالترع وبعضه بتفشيته بالسواد ليكون كل شيء مذكراً بالمصاب باعناً على
تجديد الحزن واثارة الشجن . وهذه العادات عامة لا يكاد يخلو منها بيت عالم ولا
جاهل ولا رفيع ولا وضيع اذا مات احد من اهله لاسيما كبير البيت . واننا نحمد
الله ان لم يتل من ربنا بينهم من الاهل والمعاشرين بهذا البعد الشديد عن هدي
الدين والسخط لقضاء الله تعالى . ونسأله تعالى ان يوفق علماء هذه البلاد وكتابتها
الى الاجتهاد في تغيير منكرات الحداد والمآثم . وازالة ما اعتيد فيها من البدع والمآثم،



بؤنث الحكمة من يشاء ومن يؤثي الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولاً الآليات

المحكمة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فينبهون أنفسهم
أولئك الذين هدى الله فبئذ هم أولاً الآليات

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوتي و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر - ١٦ رجب سنة ١٣٢٣ - ١٥ ستمبر (أيلول) سنة ١٩٠٥)

تمت سيرة الاستاذ الامام

نورج من كتبه وترسله

كتب من بيروت سنة ١٣٠٢ الى صديقي عالم في بعض البلاد وفيه
من الحث على احياء دين الله ، والاهتداء بكتاب الله ، مالا تجده مثله في
كلام ، الا ان يكون لثقل علي عليه السلام ، قال رضي الله عنه
السلام عليكم ، تحية أخ يهزه التشوق اليكم ، وبعد فقد تلقيت اليوم
كتابك وتشمت منه وريح الحمية ، والنمرة الدينية ، وأرجو ان تصل بك
بدايتك الى ما يختار الله لك من حسن النهاية ولم يكن ظني في همتك ،
دون ما تبينت في عبارتك ، فليكن مرورك بنفسك ، على قدر شفقتك
على دينك ، وحركة ميلك للاخذ بيده ، وتقويم أوده ، فاما هو الدين
المتين الذي أطلق العقل من قيده ، وأخذ على الوهم في كيده ، وهز النفوس
الى نيل المضائل ، ونكب بها عن مشايمة الرذائل ، حتى ساد به الضمراء ،
وذلت لسلطانه الاقوياء ، وسبق وعده الله بأن يظهره على الدين كله ، والله

الجديد

و

منجز وعده لاهله ، وانما خلقنا الله وكلفنا صرف همومنا اليه ، وتمويلنا في شؤوننا عليه ، وليس لنا من الحق في أنفسنا وأموالنا ، الا ما نبذله في تأييد ديننا ، ولا حاجة لله فيمن لم يكن له من نفسه وماله نصيب
داوم قراءة القرآن وتفهيم أوامره ونواهيه ، ومواعظه وعبره ، كما كان يتلى على المؤمنين والكافرين أيام الوحي وحاذر النظر الى وجوه التناسير الا تفهم لفظ مفرد غاب عنك مراد الرب منه ، أو ارتباط مفرد بآخر خفي عليك متصلاً ، ثم اذهب الى ما يخصك القرآن اليه ، وأهل بنفسك على ما يحمل عليه ، وضم الي ذلك مطالعة السيرة النبوية واقفا عند الصحيح المقول ، حاجزاً عينيك عن الضعيف والمبدول ، (*) واعتبر بما قامى النبي وأصحابه من الجهد والعناء لنصر دين الله ، وما ركبوا من المتاعب ، وما احتملوا من المصاعب ، على ما تعلم من درجة قربهم الى الله وغفراته لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر ، واجعل عيشك للآخرة واستمد لما وعد فان سعادة أبدية ، لا تنال الا بسيرة محمدية ، ولن تنال بنوم موسم ، على فراش ممد ، واعلم انك محاسب على الدقيقة من أوقاتك ، لا عزازديك كانت لك والا كانت عليك ، وأرجوان يكون كل سميك خيراً يجعله الله نوراً يسعي بين يديك ان شاء الله

اما ما ذكرت من مسألة الشيخ . . . فبودي لو توجه الى الله كل جديد

مسلم ، واعتصم بحبله كل مؤمن ، فما بالك بشيخ من جمال الوصف على ما ذكرت ، ومن علو المنزلة على ما بينت ، فان يسر لك السبيل فتقدم

(*) يريد بالمبدول تلك الموضوعات التي ينفذها روح الدين وتأبها قواعد

لديته (أي إلى الاعتصام) وادخل اليه ابتداء من طريق لا يعرفه وتلطف له في القول وان شئت أطلعت على شيء من مقالات العروة الوثقى فإذا انتهيت به الى ما يعرف وآنت منه الميل والرضاء فأما ان يكتب إلي وإما ان يستعد لتاتي كتاب مني ثم سراخ إلي بالخبر الخ

وكتب منها الى عالم كبير في بعض البلاد في ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٠٢
أشد ما أجد من فراقك ، حرمانني من محاضرة آدابك . والاعتباس من نواذر فضلك ، وتعرف الصواب من صائب رأيك ، وإنما يتخفف ألم البعد منك أن أكون بمكان من فكرك ، وأصيب حظا من مراسلتك ، وجدير بكرمك ان تصل واصلا ، ومجيب سائلا ، وسلامي عليك وعلى أئمتك الصالحين ، والله ينفع المسلمين بسميك وخالص نيتك والسلام اه فانظر كيف كان إحياء الدين وهم المسلمين والسمي في إصلاحهم مما يدخل في كل أقواله ، كما كان مسيرته في جميع أحواله ، فهل تزن بمثله من ليس لهم حفظ من الدين ، الا الأكل به من السوتة والنلاحين ، لا يهمهم الا التحلق حول الموائد ، والتطواف لجمع النذور «والموايد»

سبحي قوة عقله وسعة علمه

يصف الناس كل نابغ بالذكاء الفطري ويعنون به سرعة الفهم وسهولة الحفظ ولذلك كنت تجد الناس مجمعين على وصف الاستاذ الامام بالذكاء النادر ، لا يختلف في هذا منصف ولا مكابر ، أما هو فكان يقول عن نفسه إنه متوسط في الذكاء وانه يوجد في كل مئة رجل ٧٥ رجلا مثله في فهمه . وعلى هذا كان يجب ان يكون ثلاثة أرباع الناس أو طلاب العلم منهم خاصة مثله ولكن الناس لم يروا في الملايين الكثيرة مثله وانك لتسمع

كثيرا من اهل الفضل يقولون ان الدنيا انما تلد مثل هذا الرجل في كل عدة قرون مرة وقالوا بمد موته ان الفراغ الذي حدث بفقده لا يملأه أحد في هذا العصر . وقد واجهناه في قوله ان ثلاثة أرباع الناس يساؤونه في ذهنه وقلنا له كيف تحصل في الزمن القصير من العلم مالا يحصلونه في الزمن الطويل فقال ان الفرق بين الناس في هذا لا يأتي من الاختلاف في الذهن فقط وانما يأتي معظمه من الاختلاف في توجيه الارادة الى الشيء ومعرفة طريقه وغايته قبل طلبه . وهذه حقيقة لا مرية فيها ولكنها لم تذهب بامثرائنا في ان قوله ذلك من المبالغة بمكان وان كان قاله اعتقادا لا تواضعا وهضميا لنفسه . على اننا نعرف من أصحاب الذكاء المدهش من كان ذكاؤهم وبالاعليهم خاصة أو عليهم وعلى كثير من الناس الذين يعرفون : فالعبارة بما قال وهو ان ادراك المقاصد انما يكون بصحة توجيه الارادة اليها وطلبها من طريقها الطبيعية

بلغ هذا الرجل من قوة العقل ان عجزت الأمراض الشديدة عن منعه المطالعة فكان يقرأ في أيام مرضه أكثر مما يقرأ في صحته التي تشغلها فيها الأعمال . أتظن انه كان يقرأ كتب القصص والفكاهات ؛ كلا انما كان يقرأ العلوم العقلية والفلسفة وكتب التربية والتاريخ . وقد رابه من مرضه الاخير ملة فيه من المطالعة وقال انه لم يعهد ذلك في مرض قط فقلت له هكذا شأن أمراض المعدة على ان كثرة الاعمال العقلية هي السبب الفعال في مرضك هذا كما يقول الأطباء - ولم يكن المرض يومئذ قد اشتدت وطأته

وقد أصيب بحمى التيفوس مرة في بيروت فبلغت نهاية شدتها وأعلى

حرارتها ولم يغب عقله ولم يهد لسانه حتى قال الطبيب الذي كان يعالجه اني لم
 أر مثل دماغ هذا الرجل ولو حدثت عن مثل ما رأيت منه لما صدقت .
 وكذلك قل بمض الأطباء الذين زادوه قبل موته بأيام قليلة فقد دب
 التسمم في جسمه وعقله حاضر وذاكرته تلي على لسانه الأجوبة السديدة
 في وصف مرضه لمن يسأل عنه . وقد اتفقنا نحن الذين كنا نلازمه على
 ان لا نحدثه في الجدل ولا مسائل العلم والاجتماع وان نمنع عائديه من
 الحديث في ذلك لاسيما بعد اشتداد المرض عليه ولكنه كان ينتقل بنامن
 الفكاهة الى الجدل فاذا سافت شجون الحديث مسألة عويصة أو عبارة
 اجتنب معناها ، أسرع ذهنه الى كشف الحجاب عن الخفايا فجلالها ،
 وثقت في عقدة المويص من عراها ،

أذن لنا بذكر الشعر والادب في يوم تواترت فيه ثوبات الألم فكان
 مما أنشده حافظ ابراهيم من مختار محفوظه قول بشار :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
 وقال اني أنشد هذا البيت منذ سنين وأنا لم أفهمه وسألت عنه غير واحد
 من الادباء فلم يأت أحد بتفسير تراح اليه النفس فلم يلبث الامام ان قال ،
 والالم ينال من كبده ما ينال ، ان معناه ظاهر فانه يريد انهم اذا غضبوا سلوا
 سيوفهم وأشر عوارده احمرم فكان بريقها وامانها هتكنا حجاب الشمس الى
 ان يمكنوها من طلي أعدائهم وصدورهم فتخرج وهي تقطر دماء وتسيل
 مهجبا ، هنالك يخفى ذلك البريق واللمعان بستر الدم له وورنه عليه .
 فالضمير في قوله قطرت دما عائد الى السيوف أو الرماح وان لم تذكر
 بالقول فهي مملومة بالقرينة أي على حد قوله تعالى « إني أحببت حب

الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب» على التفسير المشهور

ناهيك بمن كان يقتل عامة نهاره وزلفا من ليله محل المشكلات وإمضاء الأعمال في مماهد كثيرة ولا يشكو تعباً ولا يخاف مللاً، كان يصبح فيغدو الى مجلس الشورى مثلاً فيجلب المسائل الموضوعية للبحث سواء كانت قضائية أو إدارية أو مالية ويؤلف بينها وبين مصلحة البلاد ويؤيدها بالحجج القانونية والعقليات التي تمنع الحكومة بمداقنتها الاعضاء ثم يخرج من هذا المجلس فيأكل طعام الغداء ويذهب الى الأزهر فان كان اليوم يوم جلسة الإدارة جلسها وعمل فيها عمله ثم ينتقل الى مكتب الافتاء حيث كان ينتظره أصحاب الحاجات المختلفة في جميع مصالح الحكومة وغيرها والمستفتون والزائرون وكتاب الجمعية الخيرية والأزهريون من علماء ومجاورين فينظر في هذه الأمور الى ما بعد العصر ثم يخرج الى ديوان الأوقاف ان كان اليوم يوم جلسة المجلس الأعلى أو الى مجلس إدارة الجمعية الخيرية ان كان اليوم يوم جلسته ثم يعود عند الغروب الى الأزهر فيقرأ الدرس فيخرج بعد المساء قاصداً داره فيجد المفاة وأصحاب الحاجات ينتظرونه في المحطة وفي البيت يمرضون عليه حاجاتهم وبعد هذا كله لم تكن تخلو داره ليلة من السامرين يتكلمون في العلم والأدب والمصالح العامة والخاصة. ولا تنس ان الأيام التي لم تكن موعد الجلسة في تلك المجالس الرسمية هي التي تقرا فيها أوراق تلك المجالس، ولكنه كان على ذلك العقل الكبير والمرفق العزيز كثير النسيان للأموال الجزئية لاسيما أسماء الأعلام حتى انه نسي اسم نفسه مرة. ذهب لزيارة صديق له فلم يجده فسأله البواب عن اسمه ليخبره بخدمته به فتوقف الاستاذ في الجواب ذهولا عن اسمه فقال الخادم أقول الشيخ

محمد عبده؛ قال نعم فأنت اعرف باسمي مني
أتقن جميع العلوم الاسلامية وضرب بسهم في العلوم والفنون
المصرية قبل تعلم اللغة الفرنسية وقد أتقن هذه اللغة في سن الكهولة
وتوسع بها في العلوم على طريقة الافرنج وكان يعني بالعلم على قدر الحاجة
اليه في العمل والإصلاح. فأما علوم اللغة العربية فقد بلغ منها ان كان ادق
الناس فهما للقرآن، وغيره من فصيح الكلام، وأبلغ الكتاب بلا
منازع، وأخطب الخطباء بلا مدافع، وأما العلوم العقلية فقد ارتقى فيها
الى أن كان فيلسوفا حكيما اعترف له بذلك من يمتد بهمرفهم. ونذكر هنا
تفسيره لكلمة فيلسوف. حدثنا في طرابلس الشام قال كنا في مجلس بعض
الوجهاء بمصر وكان في المجلس بعض أهل العلم وحملة التلامذ من السويين.
فقال مامعناه ان الناس قد ابتدؤوا لقب فيلسوف فصاروا يطلقونه على غير
أهله وكان أطلق هذا اللقب في جريدة على بعض الحاضرين فجري ههنا
كلام في معنى كلمة فيلسوف قيل الفيلسوف هو الذي يتقن جميع
العلوم قال الاستاذ اذا لم يوجد فيلسوف في الارض قيل هو الذي اتقن
بعض الفنون وله إلمام بآثارها قل ان جميع الذين يتعلمون على الطريقة
الحديثة يخرجون على إلمام بجميع العلوم المصرية ويتقنون بعضها فما أكثر
الفلاسفة في المهندسين والأطباء وفي التلامذة أيضا. ثم قال بمسئد كل
مقال: الفيلسوف هو الذي له رأي ومذهب في العقليات يمكنه الاستدلال
عليه والمدافعة عنه

وأما العلوم الشرعية فتعد كان فيها إماما مجتهدا وان كبرت هذه
الكلمة عند الذين سجلوا على أنفسهم الحرمان من فضل الله على المتأخرين،

وإبناهم من العلم والفهم ما آتاه المتقدمين ، وناهيك بفهمه في القرآن ووقوفه على أصول الشريعة وحكمها وأسرارها وقوة حجته في إثبات مقائدها ودفع الشبهات عنها وتطبيق أحكامها على مصالح البشر . ولست أعني بكونه إماما مجتهدا في الشريعة انه صاحب مذهب دونه أو كان يريد أن يدونه وإنما أعني ما ذكرت آنفا من فهمه الدين أصوله وفروعه بالدلائل والبراهين والفقهاء والوقوف على حكمه والقدرة على بيانه بدون تقليد عالم معين من العلماء السابقين والأئمة المهديين الذين أتبع آثارهم وامتدوا بهديهم . وكان يرى ان من يضع للناس مذهبا جديدا فأنما يزيدهم عمى وجهلا وتفرقا واختلافا

❦ أخلاقه وشيئته ❦

الأعمال ثمرات الأخلاق فإذا كثرت من أعمال الرجل تمثل بعض أخلاقه لأنها بعض آثارها وإن وراء ذلك من أحسن الخلال ، وآيات الكمال ، ما تقصر عن تمثيله جلائل تلك الأعمال ، ولقد كتبت للاستاذ الأمام أصول الفضائل الأربع ، وما نشأ عنها وتفرع ، وانا نشرح بعض أخلاقه لتكون قدوة للمقتدين ،

طبع الله هذا الرجل على عزة النفس وعلو الرمة من أول نشأته وقد أدركه السيد جمال الدين الذي درج في حجر السيادة وترعرع في بيت الأمانة وهو مجاور في الأزهر ومنقطع إلى التصوف يلبس قميصا يبدو من أعلى جيبه صدره الأشعر وقد أرسل جمة كجمة الدراويش فراءه من صاحب هذا القشف ما عنده من العزة والاباء وحفظ الكرامة ورقة شهور الشرف وأكبر ان يكون هذا أثر التربية والتخاطب في بلاد ساسها الظلم وتحكم فيها الجور المذلل للنفوس وكأنه سبق إلى نفسه أن هذا أثر ورثة

لا أحد آباؤه الاولين ، وانهم لا بد ان يكونوا من الملوك والحاكين ، فقال له مرة : « قل لي بالله أي أبناء الملوك أنت » : وهذا الخلق هو ركن الفضائل الركين ، وناهيك بقول الله تعالى « ولكن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » ، وهو الباعث على تلك الأعمال ، والحامل على الاستهانة بما بين يديها من الاهوال ، وقد يشتهه على كثير من الناس هذا الخلق الكريم ، بمخاق الكبير الذميمة ، ولذلك كان بعض الحاسدين والجاهلين ينبر الاستاذ الامام بهذا اللقب لاسيما عندما كانوا يرونه مترفعا من الدهان والتعلق للكبراء ، ممرضنا عن يعارضه في مقاصده وان كان من المظالم ، ولو عاشره ناظرين بعين الانصاف لرأوا حقيقة التواضع مع الرفعة كيف تكون . لرأوا كيف كان ذلك الرجل العظيم يخدم الفقير والمسكين ، ويتجافى جنبه عن مضجعه لاجل العفاة والمستفيدين ، ومن دقائق ملاحظته في التواضع انه كان يتحاشى صيغة الطلب الجازم في مخاطبة أصدقائه ومحبيه ، بل وتلاميذته وصريديه ، فيستبدل بالأمر الاستفهام والتخيير ويوسع للمخاطب المدر قبل أن يحتاج الى الاعتذار ثم اذا أخلف معه يتناسى فلا يقابله بلوم ولا عتب . اذكر من لطائفه في هذا الباب قوله لي مرة : اني اكون غدا في مكان كذا بعد الظهر فان ذكرت ذلك ووجدت فراغا واحيت أن تجيء فقلت : ذكر كل هذه القيود وأنا علم انه يريد ان اوافيه حتما ولولا ذلك لذكر لي انه يكون في ذلك المكان ولم يزد كمادته معي إذ كان يخبرني بمواقفته

وتد عرف رحمه الله تعالى بسلامة الصدر وصفاء القلب والحلم

والصفح فما انتم من سيء ولا سي في ضرر أحد قط بل كان يحسن

الى من أساء اليه اذا استنجد به أنجده ، واذا استرفده أرفده ، وان عاد الى الاساءة سبب من صرة . وكان أهل الخبث والمنكر من حاسديه يظنون أنهم يخذعون به بدعائهم ودهائهم ولكن فراسته كانت تحترق صدورهم ، وتنفذ الى سواد قلوبهم ، ويقرأ في صحائف وجوههم الاولى ، مارسم على صحائف وجوههم الاخرى ، وإنما يقبل منهم ما أظهروا ، ويتغابي عما أضروا ، عملاً بما ورد في الخبر « إصنع المعروف مع أهله ومع غير أهله فان أصبت أهله فقد أصبت أهله وان لم تصب أهله فأنت من أهله » وكان يسجيه قول أفلاطون : استصلاح المدعو أحزم من استهلاكه :

نعم كان يقاب عليه حسن الظن وبذلك رفع أناسا الى مراتب لم يكونوا أهلا لها والناس يعدون ذلك عليه ويفعلون عن عذره فيه وهو ان من رفعتهم ورقاهم كان لا بد للاعمال التي رقاها اليها من عاملين فحسن الظن ببعض من يمكن ان يمهدهم اليهم العمل وناطه بهم ففهم من ظهروا بالاختيار ان ظن الخير فيه صادق فكان صالحا للخدمة شاكرا للصنيعة ومنهم من ظهر بعد التجربة لؤمه ، وتبين فساده وشؤمه ، فلم يصلح عملا ، ولم يشكر محسنا ، ومن هذا الفريق من أساء الى من أحسن اليه ، وكفر حقوق المنعم عليه ، ومنهم من أظهر الوفاء ، في وقت الرخاء ، وأظهر حقدته وخصفته ، عند الضراء والمحنة ، وليت شعري ما حيلة الرجل الذي جبلت طبيته على اإحسان وتوجهت همهته الى الخدمة العامة ، وقد نشأ في قوم فساق فساد الاخلاق ، وقل فيهم الوفاء والاخلاص ، أي يمكن ان يقال له لا تسد الى أحد معروفاء ، ولا تسع الى أحد بخير ، إلا بعد ان تجرب به عدة سنين ، فتعلم انه من المصالحين والشاكرين ، كيف وإنما يجرب الرجل بما يمهده اليه من الاعمال ،

وما يامل به من البر والاحسان ،

على أنني لا أنكر انه كان لسلامة قلبه يفيض أمام بعض من يعتقد
إخلاصهم بما لا تسمع عقولهم ، ويفضي إلى بعضهم بما تضيق عنه صدورهم ،
وانه كان لمبالغته في الحلم ينفو عن لا تنفو المصلحة العامة عنه ، ويصفح
عن يقضي الاصلاح بالانتقام منه ، وقد كان يكون هذا المنو والصفح
مما يخفى على من عفا وصفح عنهم ، كما كان يخفى الانتقام لو انه انتقم منهم ،
ولعله لولا هذا الخلق لكان نجاحه أسرع وأتم ، وإصلاحه أشمل وأعم ،
وكان من الكمال في الوفاء لأصدقائه ، والغيرة على أحيائه ، بحيث
يهم بشأنهم في السر والجهر والبعد والقرب والغيب والشهود بمثل ما يهم
آباؤهم وأبناؤهم أو أشد وكثيرا ما راه يسمي في دفع الشر عنهم وفي سوق
الخير اليهم بأشد مما كانوا يسهون لأتسهم . وما من صديق ولا محب
له وإلا وكان آمنا من انحرافه عنه ، بل من توانيه في الانتصار له ، تأثرا
بقول واش محال ، أو رهبة من كيد قوي ذي محال ، أو طمعا في جاه أو
مال ، وقد كان في وفائه هذا خير قدوة لمعاصريه والمتصلين به يربي نفوسهم
بأخلاقه وسيرته ، كما يربي عقولهم بعلمه وحكمته ، فريده ومحبوه أشد
الناس وفاء لمن يحبون ، وأعظمهم إخلاصا لمن يصطفون ،

وقد كان على ما علمت من صفحه عن الأعداء ، وكال الوفاء للأحياء ،

والاحسان لأولئك وهؤلاء ، لا يخاف في طريقه الى الاصلاح عدوا
مينا ، ولا يمتد فيه على الصديق وإن كان ناصحا آمينا ، وانما كان
مستقلا برأيه مع الاستشارة ، مستقلا بإرادته مع الاستعانة ، وثقا بأن الله
يؤيده ويسخر له الناس لإخلاصه لله وللناس ، يستخدم في سعيه كل من

استطاع استخدامه من موافق ومخالف ووطني وأجنبي ولكنه لا يعتمد في قلبه على أحد من الناس ولا يفتر بأحد منهم . كان في الناس من يظن بأن السبب في شجاعته وقوة عزمته في عمله وتقوفه عند الحكومة وإدلاله عليها هو اعتياده على حربه الكبير الذي يضم جماهير العقلاء والفضلاء والكتاب والادباء ، وفيهم من يظن أن جراته ومضاءه وإقدامه من ثقتهم بتأييد الحكومة له والقوة المحتلة من وراء الحكومة . أما هو فكان يعتمد أنه لا حول له ولا قوة الا بالله العلي العظيم وما وهبه من العزيمة والاخلاص . وقد كتمته مرة في هذا فأقسم بالله انه يشعر بأنه في هذا الوجود كالمریان الذي ليس له فيه شيء وانه لا يعتمد على شيء الا على الله وهو المسخر لمن يشاء

وكان رضي الله عنه معتصما بجبل الصدق ، متحريرا ما يمتد انه حق ، واذا تذكرت ان علة الطل لنفوس الكذب في الناس هي شدة ظلم الحكام ، واستبداد ذوي السلطان ، وأن أ كذب الناس أكثرهم قريبا من الظالمين ، ومعاملة للحكام المستبدين ، علمت أن ملكة صدق اللسان ، لا تترى الا في حجر شجاعة القلب وجراة الجنان ، ولولا شجاعته لما نادى بمقاومة الاستبداد والاستبداد - كما قال - في عنفوانه ، والظلم قابض على صولجانه ، ولما حافظ على وأيه واعتقاده وان خالف العلماء والحكام ، وخالف الجماهير المبر رأيهم بالرأي العام ،

هذان الخلقان - الصدق والشجاعة - هما شرطان للتقدرة على الاصلاح

فالكذب والجبان عدوان لله لا يصلحان لشيء من الخير ولا يصلح بهما شيء . وان التزام الصدق في أمة فشا فيها الكذب ، واعتادت على الدهان والملق ، من أشق الامور على النفوس ، وأبدها عن طاعة التهذيب ، لما له من

الاثري في إحفاظ القلوب، والتأثير في إثارة البغضاء، وتكثير سواد الاعداء، وتنفير المحبين والاصدقاء، فكيف يتكلمه المتكلم مع هذه المنفردات عنه، والمرغبات في ضده، ثم كيف يكون ملكة نفسية، لا تكلف فيه ولا روية، لا تحسب الامر سهلا فان الظهور وبخالفه اهواء المامة مما يجنب امامه الملوك القاهرون، وينكمش دونه العلماء الماملون، ولهذا يدهن الرؤساء للمرؤسين، ويدهن المرؤسون للامراء والسلاطين، فالصدق فيما لا يرضي المامة، أشد من الصدق فيما لا يرضي الخاصة، فما بالك بالصادق فيما قد ينضب الفريقتين، والصابر على الطعن من الجانبين، أليس هو في مرتبة الصديقين، التي تلي مرتبة النبيين والمرسلين، ؟

رأيت الاستاذ الامام في النوم بعد موته بأيام فقال لي ان الله تعالى أعطاني مقام الصدق أو قال اني في مقام الصدق فتذكرت كلام الشيخ محي الدين بن عربي في مقام الصدق وحال الصدق ومنه ان صاحب حال الصدق يكون كثير الظهور بالولاية والكرامة كثير الدعوى بحق وصاحب مقام الصدق أعلى وأكمل ويكون في الولاية مجهولا لا يعرف، ونكوة لا تعرف، وتذكرت جهل الناس بمقام الاستاذ الامام، في لولاية والمرفان، احتجاجا بظهوره الدنيوي ومعارفه الكونية، عن مرتبته الروحية ومعارفه اللدنية، واستيقظت وعلى لساني قوله تعالى « ان المتقين في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر »

ان ما ذكرناه من الشجاعة في التزام الصدق، والمجاهرة بنصرة الحق، هو ما يبر عنه كتاب العصر بالشجاعة الأدبية وانت لا تجهل ان من لا يهاب في الحق وثبات الحكام، ولا يخاف طعن الخواص والموام، فهو

جدير بأن لا يخيفه الحسام ، ولا ترهبه السهام ، كاشفني رحمه الله صرة بكتاب
 جاءه بغير توقيع يهدده مرسله فيه بالقتل اذا هو ظل مسترسلا في عمل
 نسب اليه ورأيته غير مبال به ولا مكترث فقلت له ان لك أعداء لا يخافون
 الله وانك تجي دارك في الليل وهي في الخلاء بعيدة عن العمران فلونظرت
 في ذلك : فقال أرتخاف علي من مثل هذا الكاتب المهدد؟ انني لم أهنيء
 نفسي الى الآن بأنه وجد في وطني من تجرأ علي بكلمة «أخطأت» ، وسألته
 صرة ماذا تصنع اذا هجم عليك لص في الليل أنطلق عليه الرصاص من
 هذا المسدس - وأشرت الى مسدس معلق بسرير نومه - فقال لا يجوز
 اطلاق الرصاص في البيت فانه يزعج النساء والعيال وليس عندي للص
 الا القبض عليه والاخذ بقوف رقبته: وكذلك يفعل

ومن خلائقه الانصاف في الرأي والعلم ، كالا نصاب في الحكم ،
 والبعد عن المكابرة ، في المذاكرة والمناظرة ، فلم يكن يزدهيه الغرور
 والاعجاب ، بسمة العلم وكثرة الصواب ، ولا كان يصداه الارتقاء عن مرتبة
 المقلدين ، عن الرجوع الى رأي أحد التلاميذ والمريدين ، بل كان رجاءا
 للحق اذا ظهر له ، محترم فهم غيره ورأيه ، وهذا الخلق عزيز في العلماء ،
 لاسيما ذوي الشهرة والجاه ، ومن طلب آية علي هذا فليرجع الى ما كتبه
 الامام الغزالي عنهم في بيان آفات المناظرة من كتاب العلم في الاحياء الجديد
 فاذا علم بما كان يجري والعلم حي والامة عزيزة - ومن لوازم ذلك
 الانصاف - فما ظنه بهذا الخلق في خلف لم يبق لهم من عزة سلتهم الا
 الفخر بها ، ولا من علمهم الا الحكاية عن قلوبهم فيه ،

من آيات انصاف استاذنا ورجوعه الى الحق ما هو ممدون في المنار .



لم ينس القراء ما نشرناه له في تفسير «وأما السائل فلا تنهر» اذ اختار قول بعض المفسرين ان المراد بالسائل من يسأل عن العلم ويطلب التفقه في الدين وذكر فيما كتبه في تفسير جزء عم ان لفظ السائل لم يرد في كتاب الله عنوانا للفقير والمسكين فظن بعض من قرأ ذلك ان قوله يفيد ان لفظ السائل لم يرد في القرآن بمعنى طالب المال . فذكره رجل من عمد البلاد بقوله تعالى « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » فحسب انه أخطأ فيما كتب فأرسل اليّ ورقة صغيرة يصرح فيها بتخطئة نفسه وكلفني طبع عشرة آلاف نسخة منها بعهده ما طبع من كتاب تفسير «جزء عم» لتلصق بنسخ التفسير وأمر الجمعية الخيرية بأن تمسك عن بيع الكتاب حتى تطبع الاوراق وتلصق فرجعت الى الجزء فرأيت عبارته صحيحة الا انها مبهمه ليست كالمهود في بيانه فراجعته في ذلك ولم أطبع الورقة فعاد الى التأمل في العبارة ورجع الى مسودات تفسير الجزء فتذكر انه ما كتب تلك العبارة في السائل الا وهو ذا كرلما توهموا انه يناقها من قوله تعالى « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وقوله تعالى « والسائلين وفي الرقاب » ثم كتب ما كتب في إيضاح العبارة واعترف بما فيها من الابهام واستغفر الله من العود الى مثله وقد نشرنا ذلك في ص ٨١٥ من المجلد السابع من المنار فليرجع اليه من شاء

وكان هذا الاواب الرجاء الى الحق جبلا راسخا في الثبات والاستقامة

لا يرجع عما شرع فيه، فكيف يطمع في رجوعه عما طبع عليه، لانه كان لا يقدم على العمل إلا بعد الرؤية والتدبر، والبصيرة والتثبت، وقد كان السيد جمال الدين يقول فيه هو كالفلك لا يتغير قال هذا بعد ما غاب غيبته في بلاد

المشرق ثم عاد إلى أوروبا ورأى فيها جماعة ممن كان يعرف قد تغيروا عما كان
يهود الا الشيخ محمد عبده فانه لقيه كما تركه

ولا حاجة الى الكلام في جوده وسخائه فانه صار فيه على ا كتمته الصدقة
واخفائه البذل أشهر من علم وعرف الناس كثيرا من البائسين والعجزة الذين
كان يمولهم ويوصيهم بالكمان . ولم يكن في أيام السراء ، أبسط يدا منه
في أيام الضراء ، لقيه صاحب في بيروت فقال له ان والدي قد توفي وليس
لدي ما أنفقه في تشييمه فأعطاء كل ما كان يملكه من النقد وهو راتبه
الشهري من المدرسة السلطانية كان قد قبضه ولم ينفق منه شيئا ولكن
الله أخلف عليه بما لم يكن يحتسب فقد كان له دين عند رجل في مصر
يلويه ويمطاه به أيام كان يتقاضاه ، وهو يراه فيستحي منه ويخشاه ، فما
مر يوم على بئذ جميع ما في يده واشار صديقه على غياله حتى آذنه مصرف
(بنك) بيروت بأن حوالة برقية جاءت باسمه من مصر واذا هي دينه
على ذلك الرجل « ومن يتوكل على الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب » وكان اذا وفر شيئا من النفقة صرفه في سبل البر . كان يدخل
بالفائض المعروفة بالزنوية وبالنارجيلة (الشيشة) ثم ترك التدخين بالمره
وجعل ما كان ينفقه فيه صدقة ولولا بعض أصدقائه لما امتلاك من طين
هذه الارض شيئا ولا حاجة الى بيان ذلك هنا

لمي لا احتاج إلى التنويه بتغيرته على ملته وأمه فان بذل حياته كلها
في السعي بتربية الأمة على آداب الملة لم يكن الا أثر من آثار هذه الذيرة
فالدليل وجودي عملي عرفه القريب والبعيد واعترف به العدو والصديق
ولكنني أذكر في هذا الباب شيئا لا يعرف نظيره إلا بعض أصفياؤه الذين

جئت مرة في رمضان (سنة ١٣١٥) بعد الظهر على موعد فقيل انه نائم ولم يكن ينام في مثل هذا الوقت بل كان ينام طائفة من الليل ثم يقوم في السحر ويلبث بعد السحور الى أن يصلي الصبح ثم ينام حتى ترتفع الشمس فكنت ريثما استيقظ فسأته ما أنامه قال ما معناه ارتفتي اليلة الفكر في حال المسلمين وما ينزل بهم من البلاء يبعدهم عن دينهم واتباع أهوائهم وشهواتهم وقوي سلطان الفكر فهاج المجموع المصري ونبهه تنبها شديدا حتى حدثني نفسي بأن أنزل الى حيث يكثر اجتماع الناس كاللوسكي والازبكية فأقف في الطريق وأنادي أيها الناس ماذا رأيتم في دينكم من التيسيح حتى تركتموه ، وماذا رأيتم فيما اخترتم بديلا منه حتى تقلدتموه ، ثم أخطبهم في حقيقة ما هم فيه ، وأنذرهم عاقبة ما هم عليه ، وأبين لهم طريق النجاة منه ، وقد عاجلت النوم فلم أملك منه شيئا فلجأت الى الكتابة وما كنت لأكتب في الليل فجرى القلم بفصل جعلته آخر فصول رسالة التوحيد فتأبت الى بعد ذلك تسي واران النوم على عيني ولكن الليل قد آذن بالرحيل فلم أتل منه نيلا فكانت هذه النومة في النهار عوضا مما فاتني في الليل

أقول قد عرف من سبق له قراءة رسالة التوحيد ان الفصل الذي كتبه في تلك الحالة هو الفصل الذي عنوانه (انتشار الاسلام بسرعة لم يمهدها نظير في التاريخ) ولمصري ان ذلك الفصل لقول فصل ، وما هو بالهزل ، أملاه على كاتبه الالهام ، حتى كاد يكون معجزة من معجزات الاسلام ، وقد قال في أوائله

« ابتداء هذا الدين بالدعوة كغيره من الأديان ولقي من أعداء أنفسهم أشد ما يلقى حق من باطل ، أوذي الداعي صلى الله عليه وسلم بضروب الأذى ، وأقيم في وجهه ما كان يصيب تذليله من العقاب لولا عناية الله ، وعذب المستجيبون له وحرموا الرزق ، وطردهوا من الدار ، وسفكت منهم دماء غزيرة ، غير أن تلك الدماء كانت عيون المزمّات تنفجر من صخور الصبر يثبت الله بمنظرها المستيقنين ، ويقذف بها الرعب في أنس المرتابين ، فكانت تسيل لمنظرها نفوس أهل الرب وهي ذوب ما فسد من طباعهم فتجري من مناخرهم جري الدم الفاسد من المقصود على أيدي الأطباء الحاذقين » لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكَبُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » تألبت الملل المختلفة ممن كان يسكن جزيرة العرب وما جاورها على الإسلام ليحصدها بنبته ، ويخفقوا دعوتها ، فإزال يدافع عن نفسه دفاع الضيف للأقوياء ، والفقير للأغنياء ، ولا ناصر له إلا أنه الحق بين الأباطيل ، والرشد في ظلمات الأضاليل ، حتى ظفر بالعزة ، وتمرر بالمنمة ، وقد وطىء أرض الجزيرة أقوام من أديان آخر كانت تدعو إليها وكانت لهم ملوك وعزة وسلطان وحملوا الناس على عقائدهم بأنواع المكاره ، ومع ذلك لم يبلغ بهم السمي فلاحا ، ولا انالهم القصد نجاحا ، الخ

وجثته مرة في داره بعين شمس (سنة ١٣٢١) وكان قد وعك غداة يومه فرأيته ينظر في ثلاثة كتب عربية يقرأ المسألة في كل منها فسألته ما بك وما هذا الذي تنظر فيه فقال هو التهيج المصبي الذي يلتم بي أحيانا من الفكر في الأمور العامة وهذه كتب في أصول الفقه ألهو بمباحها عن

القرآن فاني اذا فكرت فيه رأيت بعد المسلمين عنه فيقوى التمسك بالعصبي
واما عاداته فقد كان يخالف فيها علماء هذه الديار يخالفهم فيما يكره
شراً أو عقلاً كتطويل الأردان وتوسيمها وجر الأذيال فكان زيه أقرب
إلى زي علماء سوريا منه إلى زي علماء مصر . وكان يكره أن تقبل يده
بل يصفح الناس مصافحة وقد منع الأزهريين عن تقبيلها بعد الدرس كما فعلهم .
وكان يكره ان ينشد أمامه شعر أو يقرأ شيء في مدحه يكره ذلك رأياً
وشموراً فيتألم لسماعه وينفر منه . ولما كتب ما كتب في الرد على مقالات
هانوتو في الاسلام ونشر ذلك في المؤيد ممزواً الى أحد أئمة الاسلام لم
يخف على الناس أنه هذا الكاتب لا اعتقادهم انه لا يوجد في مصر من يقدر
على مثل ذلك غيره وقد ذكر هذا أمامه فظهر التغير على وجهه وقال إنه
لا يؤمله شيء مثل هذا لانه إقرار بأن أمته بانفت من الجهل ان انفرد فيها
واحد بالقدرة على أداء بعض الواجبات التي كان من الضروري أن يضطلع بها
كثير من أفرادها في كل بلد وأي ألم أشد من ألم من يجب ارتقاء أمته
ورفعة شأنها وهو يراها بهذه الحال من العجز (قال) ومن البلاء ان يعجز
الانسان في هذه البلاد عن التنكر في بعض الخدم التي تقضي المصلحة بتنكر من
يخدم الأئمة بها . وقد ذكرني قوله هذا قولا آخره قريبا منه وهو انني أحب
لو يكون في قومي كثير من الناس الذين يفضلوني في كل علم لأن ذلك
يعينني على تكميل نفسي بالرجوع إليهم فيما أجمل والاستمانة بهم على ما أعجز
ومن أكبر المصائب على محب العلم ان لا يجد من يستمد منه فيقف علمه عند
حد بحثه لا سبيل إلى ضم بحث غيره إليه .

(لها بقية)



إهداء من المصاب العظيم * بوالدنا البر الرحيم

﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾

في يوم الأحد رابع رجب الحرام فجعنا بوفاة والدنا وصر بيننا وصر بي اليتامى وكافل الأرمال الشيخ الجليل ، السيد النبيل ، علي رضا الحسيني الحسيني أحد سادات الديار الشامية المشهورين ، وأجواد الأمة المحسنين ، وله من السن ستون سنة أو ثلاث وستون سنة في الاكثر (وليس عندي هنا قيد لسنة ولادته) فصرنا واحتسبنا رجاء صلوات ربنا ورحمته وهدايته ومثوبته فلم نقل ولم نفعل ما لا يرضي ربنا جل جلاله فله ما أعطى وله ما أخذ واليه المصير

ولقد تفضله الله تعالى برحمته ورضوانه في قرية القلمون بسفح لبنان من الجهة الشمالية بجوار طرابلس الشام وفيها تعلم مبادئ القراءة والكتابة ثم اشتغل بطلب العلم في طرابلس على المرحوم الشيخ محمود نشابة أشهر علماء الديار السورية وشيخ الشيوخ في طرابلس عدة سنين وأدى امتحان المسكرية فيها غير مرة ثم انقطع عن الطلوع قبل أن يتم حضور الكتب ويصل إلى مقام التدريس لشدة حاجة والده إليه في إدارة أملاكه والنظر في أعماله مع الحكومة والناس فلم يكن يومئذ له ولده رشيد سواء ولكنه لم ينقطع عن الطلوع في كتب الدين والأدب والتاريخ بل كان يتراوح بين هذه الكتب ما سمع له الوقت وكان قوي الذاكرة طاق اللسان جريء الجنان يذكر ما يحفظ من الأسماء وأخبار الأوائل ووقائع الأواخر كلما عرض ما يذكر بشيء منها ولكنه كان يبدئي الشيء المحفوظ كما قرأه أول مرة فان اتفق ان كان محرفاً أو ملحوناً أعاده كذلك عند الاستشهاد به غالباً وان عرف بعد حفظه بما فيه من خطأ أو تحريف كأن ما ينطبع في ذهنه لا يقبل المحو وكان ما يمرض به ذلك من التصحيح ينطبع في مركز آخر من مراكز الدماغ فلا يلقيه إلى اللسان إلا اذا اورد المحفوظ لاجل بيان محتمه ومن قوة ذاكرة انه كان يحفظ كل ما صر به في سفره وحضره وكل ما له عند الناس أولهم عنده من الحقوق المالية وان طال عليها الزمان

وكان مهيباً وقوراً حتى في طور الشباب يجبه كل من جالسه وان كان أكبر منه

من أوفنا وجاها كشايحه و كبار الحكماء، وأعرف ما عرف به وغلب على سائر أخلاقه الجود والسخاء فقد كان مضافاً متلاًفاً مبذول القري لكل طارق من غني وفقير وقريب وغريب ومسلم وغير مسلم قل من نزل به يلتقى ما يليق به من الأكرام والحقاوة وكان في أول العهد يتكلف لأهل الوجاهة والثروة إذا استضافوه زيادة مما جرت به العادة في المنزل ويقدم لقبيرهم ما راج حتى كنا ننكر عليه ثم رجع عن هذا إلى قاعدة الصوفية ولا نبخل بموجود ، ولا نتكلف لمفقود ، حتى ربما أنكرنا ذلك أحياناً ، ولا حاجة لاستثناء ما لأهل الخصوصية الذين يدعوهم اليه من الاحتصاص وإنما الكلام في العادة اليومية مع الضيوف وقد بلغت عنايته بأبناء السبيل أنه كان يحمل الطعام اليهم بنفسه أحياناً وقد جاع الناس في سنة من السنوات فكان يرسل الدقيق والأرز إلى بيوت الفاسين الذين يفضلون الموت على السؤال في حنادس الظلام والناس ينام وله في إخفاء الصدقة حذق غريب

أثم السلاطين النظام على جددنا الثالث بسبع قراريط من مال عشر القلمون وما يتبعها من المزارع لينفق منها على مسجده الذي جرده في القرية وعلى نفسه فلما وصل هذا إلى والدنا رحمه الله تعالى وكان في الغالب يأخذ من الحكومة حصتها بما يسمونه الالتزام ثم يسمح لأكثر الأهالي بشتر كثير مما يزودون من البقول وغيرها وما يجنون من الثمار لا يبي الأبعثر حب الحصيد والزيتون وكان كثيراً ما يفوض اليهم أمر ما يجب عليهم من غير أن يحرص ويقدر - يجيئه الرجل بشيء من الزيتون مثلاً ويقول هذا عشر ما جئت فيرضى ويعطيه الآخر شيئاً من النقد يزعم أنه عشر ما استفاده من أرضه فيقبله وكنا نقول له يجب أن تضبط جميع مالك عند الناس ثم تأخذ ماشئت وتسمح بما شئت فلا يعجبه وكان كريماً بجاهه أيضاً إذا قصد بحاجة أو قدر على دفع مكروه أو جرب منفعة للناس فإنه يبذل جهده

وكان حسن المجاملة عظيم التساهل في معاشره المخالفين في الدين مع الفيرة الشديدة على الاسلام والمناضلة عنه بما يحج المناظر ولا يؤذيه وانني منذ دخلت في سن التمييز أرى في دارنا وجهاء النصاري من طرابلس ولبنان بل وأرى فيها القسوس والرهبان لاسيما في أيام الاعياد وأرى الوالد رحمه الله تعالى يجاملهم كما يجامل من يزوره من

الحكام ووجهاء المسلمين ويذكر ما يعرف من محاسنهم في غيبتهم بكل إنصاف وقد كان هذا من أسباب دعوتي الى التساهل والوفاق وتعاون جميع أهالي البلاد على ما يرقى البلاد مع القسط والبر المشروعين فان الانسان اذا تربى على شيء ورأى ثمرته في نفسه وفيمن يماشر كان أعرف بفائدته لانه يلمس فكره ووجدانه فيه

وكان شديد الفيرة على الدولة العلية وقد عرف كثيرين من وزراءها وعظماؤها كالمرحومين شرواني باشا وحدي باشا الذين وليا الصدارة وولاية سورية وكامل باشا والي أزمير اليوم والصدر الاعظم من قبل وجميع متصرفي لبنان السابقين وغيرهم فكان لاجلاله لهؤلاء واعتقاده بحسن سياسة أكثرهم كبير الامل في الدولة ولا أعلم انه صدر منه قول ولا فعل ينافي الاخلاص للدولة والسلطان العظيم وكان يعز على الجواسيس المفسدين أن يأخذوا من أقواله ما يشون به عليه الا أن يكون حسن ذكره لمصر وثناؤه على أميرها الماضي وأميرها الحاضر وقد زارها في أيامها على أنني عرضت عليه عندما زار مصر في سنة ١٣١٧ أن أستأذن له في زيارة الامير فلم يرض ومع هذا كان يملأ الاندية ثناء على سموه وعلى الاستاذ الامام وكذا على صاحب المؤيد الذي عرفه هنا وأما اتهامه بالسياسة في هذا العام ، وجعله تحت المراقبة الى أن وافاه الحمام، فسيبه وشاية من مصر فيه الى السلطان بأنه من أعوان صريدي إقامة الحلفاء العربية (الموهومة) على انه منذ سنين لم يفارق القرية فهل تقلب الدول وتؤسس الممالك من شيخ صريض في قرية لازعاء فيها ولا ثروة ولا سياسة ولا حكومة ولا مدارس ؟ ؟

وأن تعجب فموجب عجب ان تهتم الدولة بأمر الشيخين - الشيخ محمد عبده والسيد علي رضا - وتأخذ الحذر منهما بعد ان زل بهما مرض الموت وأعجب من هذا ان يبقى هذا الحذر على أشده بعد موتهما فان كانا قضيا عمرهما ولم يحفظ عنهما قول ولم يعرف لهما فعل يؤذي الدولة فهل يخشى من رفاتهما في القبر أن يقلب دولة ويؤسس جديدة دولة؟ بالله خجل، من تلاعب سفهاء الجواسيس بالدول، الحق أقول اني كنت شديد الميل الى البحث في خالي الدولة وبيان طرق إصلاحها وما منعتني من الاسترسال في ذلك الا الشيخان اعلم ان والدي يستاء ان كتبت ما لا يرضي الدولة وأستاذي كان ينهاني عن الكتابة في السياسة مطلقاً وكان الوالد تفهده الله برحمته مضمها بكامل الصبر في المصائب ابتلي بمرض الصدر

المعروف بالربو وهو في شبابه فكانت النوبة تشد عليه أحياناً حتى يمنه الزفير من التوم والكلام المتصل فلا تراه إلا حامداً شاكراً وكان فخوراً بنسبه إلى البيت النبوي خلافاً لما عليه أسرته من البعد عن الفخر، وكان سنياً شافعي المذهب ويميل إلى الشيعة إلا أنه يعظم الشيخين والسيدة عائشة ويقول في معاوية «لأنسبه ولا نحب» وينحى على غير الصحابة ومهر بن عبد العزيز من بني أمية إنحاء شديداً، وقد كان يقرأ في كتاب أمام استاذة الشيخ محمود نسابه فجاء ذكر معاوية فقال له الشيخ لم لم تقل «سيدنا معاوية» قال الوالد «سيدكم معاوية» قال الشيخ ألا تعترف بالسيادة لصاحب الرسول صلى الله عليه وسلم وكتاب الوحي؟ قال اني لم أنكر صحبته ولا كتابته لالوحي ولكن أقول انه لاسيادة لاموي على هاشمي: فسكت الشيخ رحمه الله تعالى وكان الشيخ يحترمه حتى كان يخاطب جميع تلامذته ويذكرهم بأسمائهم ولا يذكره إلا بلقب السيد

وكان طيب الله نراه سليم القلب بريثاً من الحقد والحسد بعيداً من الأيذاء والانتقام إلا أنه كان يحتقر من طأه، بقدر ما يتودد لمن والآه، فلا يعرف الدهان والتناقى وكان باطنه خيراً من ظاهره لأعدائه وأحبائه فهما عرض عن عدوه وازدري به في الظاهر لا يستحل أن يؤذيه في الباطن والتي لا تستحي أن أصنف مامتاز به في معاملة الأصدقاء لئلا يشتم منها رائحة المنة على أحد منهم مع أنه كان يرى لهم المنة إذا حكموا في ملكه حكمه فيه

وجملة القول ان مزاياه كثيرة وفضائله عظيمة ولا بدع فان البيت الذي نشأ فيه يندر ان يوجد مثله في هذه الأمة الآن في سلامة الفطرة وطهارة الاخلاق وحسن الفعال واني والله لم أحكم هذا الحكم إلا بعد الاسفار وطول الاختبار، بل أقول ان قريتنا تمتاز على القرى والمدن التي نعرفها بالخبر والخبر بالمفة والشجاعة والتقوى والاخذ بالسنن والبعد عن البدع وإنما كانت كذلك بوجود بيتنا فيها إذ لا يخلو مسجدنا من واحد منا يقرأ علوم الدين والتهذيب للإمامة واستمداد أهلها للعلم عظيم وكلهم في الأصل شرفاء النسب مشهورون بالسيادة وقد كتب في سجل الاحصاء العام للدولة المودع في الباب المالي المعبر عنه بالبركنار «القمامون سيادة القرى والزارع» نعم صار فيها

دخلاء كثيرون أكثرهم من مسلمي لبنان وأكثر ما يقع فيها من المخالفات الضرب وسرقة الثمار وفق الله أهلها وتاب عليهم انه هو الثواب الرحيم
ومما كنت أنكره على الوالد تنفاً لله عنه بعدما عرفت طرق التربية الحديثة وقرأت
علم الاخلاق اختيار الشدة والترهيب في التربية فقد بلغنا مبلغ الرجال ونحن نهاب
مؤاكلة ومكالمته والانسكاه أمامه . وكان يماقنا على الذنب بالاعراض والهجران حتى
توسل اليه بأن يرضى . وقد صار في أخريات سنه يمازح أولاده الصغار ويجمعههم
على العمام ذكرانا واناثاً اذا اتفق خلو البيت من الضيوف وكان يوصينا دائماً بالخوف
من الله تعالى دون سواه . عفا الله عنه وأحسن اليه ورحمه رحمة واسعة بمنه وكرمه
وأحسن عزاءنا عنه وثوابنا فيه

﴿ نبيه الينا وتفرقتنا عنه ﴾

توفاه الله عن ستة ذكور أكبرهم صاحب هذه المجلة (المنار) ومنهم ثلاثة يشتغلون
بالعلم في الازهر وواحد في السجن منهم بالسياسة وهو منها بريء وبها جاهل ولها
غير مستند وواحد في القرية لا غناء به . وقد كتب الينا أحد علماء سوريا الاعلام في
التمزية مانصه :

«إن الله، ولا حول ولا قوة الا بالله، مصاب بهدمصاب، وخطوب تذهل الالباب،
لقد جلت الرزية، وقدحت المصيبة، وتضاعف الاسف، ونجددت الاحزان، بوفاة
السيدالسند الكريم، الوالدابر الرحيم، الذي فجع بهالفضل والكرم، ورزى به المجد
والشرف، وإنما غارالله له، فاختارله ما عنده، فقله من دار المحن والشجن، الى دار
الكرامة والمنن، وأتقده من أرادوا به كيداً، وأمهلهم رويداً، ولسوف يأخذهم عذاب يوم
شديد، ان ربك فعال لما يريد، وان من أنجب مثلك أيهاالسيد الكريم فهو حي باق أمد
الدهر، لا يموت له ذكر ولا ينقطع له أجر، بل طوبى له وقررة عين، لاسيما بجوار سيد
الكونين، تفهده الله برضوانه وعظيم رحمة، وأسكنه بمجوحة جنته، وأحسن عزاءكم عنه
جيماً، وأنزل عليكم السكينة والرحمة، وأسبغ عليكم النعمة والمنة، وضاعف لكم الاجر،
وأفرغ عليكم جيل الصبر، إنا الى الله راغبون، ومثل هذا المصير صائرون، أسأله
تعالى أن يعوضك وأشقائك عنه خيراً ويعوضنا بطول حياتكم الخ

وكتب آخر من أهل العلم والأدب هناك مزمياً عن الأستاذ الإمام والسيد الوالد «أعزى السيد أطال الله حياته عن رزأيه بأبويه، ومصيبته في والديه، وما أجلمها من رزئين عظيمين، وخطبين جسيمين، فأما رزؤه فقد أصيب به الإسلام كله، وبكى له العالم بأسره، وانطمس لأجله نور العرفان، وغيمت ينابيع الفضل، وهيضت أجنحة النهضة، وانقطع به ما اتصل من الآمال، واحتل ما انتظم من الأعمال، وأما رزؤه فقد ذبل له روض الكرم، وهوى نجم الشرف، وسقط عمود المجد القديم، والحجب الصميم، فأحسن الله عزاء السيد عنهما، بمبارته منهما، من المجد الذي لا يباهى، والعالم الذي لا يتباهى، إن شاء الله تعالى، الخ

وكتب غيرها من أهل الفضل والوجاهة في تلك البلاد والكلام كله في سياق واحد فنشكر لكل واحد فضله، ونكتم خوف الظلم اسمه وبلده، أما الجرائد السورية فلم تكتب شيئاً عن وفاة الشيخين لأنها لا حرة لها فهي تخاف أن تكتب ثم إن هي سلمت من الضر، فلا يؤذن لها في النشر

ولما بلغ نعيه هذه البلاد كتبت الجرائد اليومية الشهيرة ما كتبت، وألقى إلينا البرق والبريد من رسائل المحبين في التصزية ما ألقى، قالت جريدة الأهرام في العدد ٨٣٥٢

ورد من طرابلس الشام نعي الشيخ الجليل السيد علي رضا والاحضرة العلامة الفضال السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الإسلامية

توفي إلى رحمة ربه في يوم الأحد الماضي وهو في نحو الستين من عمره تاركاً في دنياه أحسن ذكرك مقدماً للآخرة أعمالاً طيبات فعز المصاب به على آله وطارفي فضله ونباه إذ كان الرجل وجهاً في قومه رحب الصدر طيب الخلق مضيافاً كريماً ما زار القلمون زائر الا وكان في منزل الفقيد كأنه في منزله ولا يذكر لهذا البيت الكريم من قديم الزمان حتى اليوم الا كل مائة طيبة وفضل ونبيل

وقد شيعت جنازته في بلدته القلمون بمشهد كبير يليق بمقام هذه الامرة الحسينية الشريفة فنحن نعزي حضرات أنجاله الكرام وآله الأفاضل على فقده سائلين له الرحمة والرضوان وهم العزاء والصبر الجميل

بلغنا بمزيد الأسف انتقال فضيلة الحبيب النسيب والمسلم الفاضل السيد علي رضا الحسيني من أعيان طرابلس الشام وأشرفها إلى رحمة الله تعالى ووضوانه نهار الأحد ٤ رجب عن عمر ناهز الستين قضاء في البر والأفادة وعمل الخير أو مرض حارت فيه الأطباء في بلدته القلمون فكان لعمري ونفأسف عظيمة في البلاد السورية لما له من سمو المكانة وعلو القدر وشرف الأصل وعميم الأحسان تعمدته الله برحمته وأسكنه فسيح جنته

وقالت جريدة المقطم في العدد ٥٠٠٢

ورد على حضرة العالم الفاضل الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار نعي المرحوم والده الجليل الشيخ علي رضا امام القلمون وشيخ جامعها توفاه الله يوم الأحد الماضي (٤ رجب) في القلمون عن ستين عاماً قضاها في عمل الخير والمصالحات وهو من بيت مجد موصوف بالكرم وحسن الضيافة وممروف في لبنان وولاية بيروت، وقد خلف ستة أولاد وكلهم من النجباء وأكبرهم حضرة الشيخ رشيد المشار إليه آنفاً وقد لقي الفقيه رحمه الله من اضطهاد الحكومة الحميدية وظلم عماله وقسوتهم ما ضناه وعجل عليه بالوفاة فقد كان محتضراً والمساكر العثمانية ملازمة باب داره ليلاً ونهاراً خوفاً من أن ينهض عن فراش الموت ويخلع السلطان أو يثل عرش آل عثمان في حكم عقلاء هذا الزمان وابنه المدير أمور بيته في غياب أخوته مطروح في سجن طرابلس الشام حيث يتقلب على حجر العذاب ريثما تتمثل المحكمة أمر الظالمين وتحكم عليه بالعقاب، وكل هذا الجور والظلم بناء على وشايات قوم يفضون صاحب المنار ويحقدون على فقيد الوطن المرحوم الشيخ محمد عبده، فاجتمع الشيخان الجليلان الآن امام عرش العادل الديان يدعوان إلى قاهر المتاة ومؤدب البغاة أن يجير الضملاء المظلومين ويكشف شر الطغاة الظالمين

وقالت جريدة الاخلاص في العدد ١١٠٥

﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾

نعي الى حضرة رصيفنا المحبوب العالم الكامل المهذب الشيخ رشيد رضا أفندي

صاحب مجلة المنار الفراء والدماء الجليل سليل بيت المجد الاثيل الشيخ علي رضا امام القلمون وشيخ جامها في طراباس الشام فكان لنعيه رنة أسف وحزن لامزيد عليهما لدى كل من عرفه لانه فضلا عن حسبه ونسبه كان رحمه الله من ذوي الغيرة على الفقراء والبائسين مشهوراً بالجود والكرم ومحباً للخير والاعمال الصالحة تضي ستمين عاماً من صحره وهو في مقدمة الفيورين على دولته ووطنه ولكن في المدة الاخيرة وشي الواشون بحقه على أثر وفاة المنصور له فقيد الاسلام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فأهين من رجال حكومة الدولة على ما بلغنا فكانت هذه الاهانة سبباً كبيراً أفقد حياته العزيزة

واقدماءنا ويسوءنا وأبم الله كلما سمنا خيراً كهذا عن رجال دولتنا العلية ومعاملتهم هذه المعاملة لرجال اشتهروا بالغيرة والاخلاص نحو سلطانهم ودولتهم ككنا الفقيد الجليل . وهذه هي الفرص التي يشهها الاغيار منا فيحفظونها لنا في سجلاتهم الى أن يجي اليوم الذي يحاسبونا فيه عليها .

فيا أيها الرجال الامناء والمخلصون للدولة وللجالس على كرسي الخلافة العظمى اتقوا الله وفكروا في ما هو أهم لصالح الدولة والامة . اخدموا اجلالة السلطان باخلاص اللسان والفؤاد وانذوا الوشايات واركوا هذه الحطة الذميمة لانها لاتفيلكم المرام وهب انكم نلتموه فسوف تجازون عن عملكم هذا لانه قيل «بالكيل الذي تكيلون به يكال لكم وازود» تقربوا الى جلالة المتبوع بطريقة غير هذه الطريقة حتى ان الله تعالى يبارك لكم في أموالكم وعيالكم وينقذكم وينقذهم من شرور الزمان وغدراته وقد كفي ما حل بنا وبدولتنا العلية والامة والوطن من سوء أعمال بعض رجال الدولة الخائنين الذين يتظاهرون بصدق الخدمة نحو المتبوع الاعظم ولكنهم أولى المنافقين . والآن بما ان المجال ليس مجال وعظ وارشاد بل نهي فقيد تأثر لموته الكثيرون فموعدنا بنتمرشي من هذا القيل في أعداد قادمة ان شاء الله

هذا وفي الختام تقدم واجبات العزية لجناب زميلنا الفاضل المهذب الفيور الشيخ رشيد رضا أقدي وجميع اخوته انجال الفقيد والله نسأل أن يفرغ في قلوبهم جميل الصبر والسلوان ويتمم فقيدهم الجليل بواسع الرحمة والرضوان اه



www.alukah.net

شبكة الألوكة



بوتها الحكمة من يشاء، من يؤتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الإمام

١٣١٥

فقير عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوي وده مناراته كبار الطرق)

﴿ مصر - غرة شعبان سنة ١٣٢٣ - ٣ ستمبر (أيلول) سنة ١٩٠٥ ﴾



الحياة الزوجية

(٥)

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُرُونَ * (سورة الروم ٣٥-٢٠)

﴿الركن الثاني من أركان هذه الحياة - المودة﴾

تكلّمنا في المقالات الأربعة السابقة من هذا البحث عن الركن الأول من
أركان الحياة الزوجية وهو سكون كل من الزوجين إلى الآخر وبيننا أنه يتوقف
على حسن اختيار كل منهما للآخر وهذا الركن خاص بالزوجين عليه تبنى
سعادتهما وهناء معيشتهما وتحققه شرط لتحقيق الركنين الآخرين أو كليهما وهما
المودة والرحمة ويتحقق الأركان الثلاثة تكمل فائدة هذه الحياة الفائدة التي أرشدنا
الله تعالى إلى طلبها منه بقوله في صفات المؤمنين «والذين يقولون ربنا هب لنا
من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً» (الفرقان ٢٥-٧٤)

أما الركن الثاني وهو المودة فليس خاصاً بالزوجين لأن المودة تصل بين
عشيرتهما بما تصل به بينهما ولذلك لم يقل «لتسكنوا إليها وتودوها» بل قال
«وجعل بينكم مودة» والخطاب للناس لا للأزواج خاصة أي أنه جعل من مقتضى
الفطرة البشرية التواد بينكم بسبب الزوجية بين الزوجين ومن يتصل بهما بلحمة
القرابة والنسب كما هو معروف بالاختبار فيمن سلمت فطرتهم من الفساد، وعرفوا
قيمة الحياة الاجتماعية فعاشوا عيشة الاجتماع لا عيشة الأفراد، وما زال البشر يمدون
المصاهرة من أسباب العصبية بين البيوت والعشائر والقبائل بل نرى الامراء الجديدين
والملوك يحاولون بمصاهرة بعضهم بعضاً التواد والتناصر بين دولهم، أو تخفيف
العداء والتنافر بين أممهم، حتى أنهم يبنون لذلك مذاهبهم الدينية كما فعلت
الاميرة الجرمانية التي تزوجها قيصر روسيا - فهذه سنة من سنن الفطرة عرفها
البدو والحضر وجرى عليها أدنى القبائل هجية وأعلى الشعوب مدنية، وتكفيها
أناس مذنبون كاد يخرج بهم فساد الفطرة عن البشرية،

نرى ونسمع في هؤلاء الذين خلقوا على صورة الانسان من التخاصم والتنازع مع أصهارهم واختانهم ما الأبرى نظيره ولا نسمع بمثله في أهل الاضغان الموروثة والاحقاد المتسلسلة، يرى أحدهم نعمة الآخر قذى في عينه وحر جاني صدره، ويعد شرفه اذا ارتفع خافضاً لقدره، فهو أنسكى حاسديه، وأنكأ جارحيه، وأول المترهبين للوثبة عليه،

لم يقف تأثير اعتلال الفطرة في نفوس هؤلاء عند تنكيث المفقول، وتشتيت الملموم ونقطيع الموصول، بل أوغل في النفس الى مواضع الشعور بالحاجة الى الاعتصام، والاحساس برزايا الانقسام، فيتخدرت الاعصاب، وانطمست البصائر والالباب، وانعكس الطبع، وانعكس الوضع، فصارت أسباب المودة والالتئام، عللاً للتباغض والاقسام، وانقلبت معارج الشرف والرفعة، مدارج للتسفل والضعفة، وأمسى ما يكتسب لاجله يكتسب به، وما يتعزز به يعتز عليه، ولا يمتد بشيء من هذا خروجاً عن سنن الفطرة، ولا اعتداءً لحدود الشريعة، وإنما يحسب من أمور الحزم، وطرق القيام بالمصالح،

لوأحب الأزواج أنفسهم حباً صادقاً وسكن بعضهم الى بعض ذلك السكون الطبيعي لوادّ كل منهما الآخر ووادّ لأجله أهله وعشيرته بلا تكلف ولا عمل وأحس بأن قوتهم قوة له وشرفهم مزيد في شرفه وكثرة ما لهم زيادة في نعم الله تعالى عليه

لوعرف الأزواج معنى الحياة الزوجية وقيمتها وانفق ان كان كل منهما على غير ما يجب الآخر ويهوى فلم تسكن اليه نفسه ذلك السكون المطلوب لتودّد كل منهما للآخر تودّداً لعله يصيب بالتكلف والصنعة بعض ما فاته بالسجية والفطرة فان التودّد مودة متكلفة أو صورة للود الحقيقي فله جميع فوائد المودة الصورية وإنما ينقصه روحها وهو ما فيها أريحية النفس وأنسها بالفضيلة ولذتها واغباطها بها وقد ينتهي التودّد بشيء من هذا ومن فاته كمال المنفعة بشيء فليس من الرأي ولا الكياسة أن يفوته كل جزء من أجزائه وكل أثر من آثاره وهو قادر على ادراكه فان بلغ النفور في قلبي الزوجين مبلغاً يعز معه التودّد ويتعذر التجميل فالواجب أن يفرقا بالمعروف والاحسان كما اجتماعاً بهذا القصد لأنهما تحققاً حينئذ أنهما لا

إهداء من شبكة الألوكة
يقين حدود الله تعالى « وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كِلَاءً مِنْ سَعْنَةٍ »

من المودة أن يحب كل من الزوجين من يحب الآخر من أهله وعشيرته وأصدقائه فيسر لسرورهم ويستاء لاستيائهم ويتمنى لهم الخير والنعمة ويقوم بأداء حقوقهم بما جرى به العرف بين أمثالهم في ذلك والتودد هو عبارة عن هذا الأمر الأخير الذي هو عمل اختياري دون ما قبله لأنه من عمل القلب وهو شعور اضطراري يملك النفوس المستعدة له إذا هي آنتت من هو أهله النفوس المستعدة للود الصحيح والحب الخالص هي النفوس الزكية التي آوى حسن التربية منها إلى سلامة الفطرة والنفوس المسنأة لذلك هي النفوس المستعدة له فالحبة والمودة من ثمرات المشاكلة في السجايا والصفات النفسية الفاضلة وأما المشاكلة في الصفات الرديئة والسجايا الخسيسة فهي لا تثمر حباً خالصاً ووداداً صادقاً ولكنها تثمر تودداً يقصد به كل من المشاككين الاستفادة من الآخر والتعاون معه على المقصد الذي وجههما إليه فساد الطبع فإذا أحسن بالاستغناء عنه أو ظفر بمن يقوم مقامه فيما تواداً لأجله ويكون الربح منه أكثر أو الكفاة له أقل فلا يلبث أن يتبدله به جنلاً مسروراً . فأصحاب الأخلاق الفاسدة محرومون من ملكة المودة الصحيحة وهم في توددهم تجار مما كسبون حتى إن فساد الفطرة يبلغ منهم أن يتجروا بعقد الزوجية ويعتدوا أزواجهم من سلع التجارة كما قدمنا في مبحث اختيار الأزواج

من التودد ما هو رذيلة وهو تودد الشطار العيارين الذي كشفنا عن حقيقة أمرهم آنفاً ومنه ما هو فضيلة وهو ما يقصد به أداء الحقوق المعروفة للخطاء والمشراء وتكليف القيام بأثار المودة كراهة الحرمان من خيرها الظاهر والباطن معاً ورجاء أن يصير التودد وداً والتعجب حباً فقد علم بالتجربة ان تكرار العمل بأثر خلق من الأخلاق تكلفاً قد ينتهي بأن يصير ملكة كما ورد في الحديث «والحلم بالتحلم» وقالت عليّة بنت المهدي

تعجب فان الحب داعية الحب وكمن بعيد الدار مستوجب القرب
وهذا النوع من التودد وهو الذي نأمر به من تزوجا فلم يجدا في أنفسهما سكناً

يعت كلا منهما على مودة الآخر ظاهراً و باطناً وهو ضرب من ضرب التربية القويمة
التربية في الكبر بهيئة المنال لا يقصد اليها الا أهل العلم ، ولا يصل منهم
الأولو العزم ، لأن الجاهل بعلم النفس وأخلاقها ، والشريعة وآدابها ، يقوده شعوره
على غير هدى ، حتى يهوي به في مهاوي الردى ، فان كان زكي الطبع ، سليم
القلب ، صبر على تجرع الفصص ، وتحمل المصنص ، من معاشرة زوج لا يأنس
به ، وقرين لا تسكن نفسه اليه ، حتى يقتله الصبر ، أو يخرج به الى الفساد والنكر ،
وان كان شرماً شكساً كانت حياته مع الزوج الآخر في تشاكس وتعاسر ،
وتنافس وتنافر ، وأما العالم فاذا ابتلي بزواج لا تسكن اليه النفس ولا يخلص له
الود ، فكان العدو الذي مامن صداقته بد ، فانه يتكلف اظهار صداقته ، واخفاء
مقتنه وكرهته ، ليسلم من سوء المعاشرة ، ويستظهر على آفات المنافرة ، واذا
كان واسع العلم بتربية النفوس ، وأثر المعاملة في قلب القلوب ، صادق الإرادة
في تربية نفسه ، قوي العزيمة في تأديب وجدانه وحسه ، فانه يطمع في أن يكون
التودد ودا ، والتطبع طبعاً ، ويعطى ما يطمع ، وينال ما يريد ، ومصداق هذا
واضح في أهل العلم ، ومصداق ما قبله ظاهر في أهل الجهل ،

لك أن تقول اننا رأينا من المتعلمين والمتعلمات في هذه البلاد أزواجاً كان
يرجى أن يكونوا حجة للعلم على الجهل بالعيشة الراضية ، وقصر كل من الزوجين
طرفه على الآخر وقناعته بالاختصاص به كمال سكون نفسه اليه واخلاصه في
مودته ومحبته ، والتودد اليه ومجاملته ، فبدا للناس منهم مالم يكونوا يحتسبون فلم تكذب
تنهي أيام أعراسهم وليالي أفراحهم الا وقد نجمت بينهم قرون الفتنة ووقع عليهم
طائر الشقاق ، وصاح بهم غراب الافتراق ، وباليته كان شقاقاً بكمان ،
ونسر يحاً بحسان ، وانما هدام العلم الى أن يكيد أحدهم للآخر في المحاكم الشرعية ،
ومنهم من قذف بهم الخصام الى المحاكم الاهلية ،

ولي أن أجيب بأنك قد نسيت أنني أعني بالعلم علم النفس وأخلاقها ، وعلم
الشريعة وآدابها ، ومن تحدث عنهم لا يعرفون من ذلك شيئاً الا قليلاً من
لألفاظ المحفوظة ، والكلمات المتداولة ، التي يملها الخيال ويلو كها اللسان ، وليس

اهداء من شبكة الألوكة
لهافي النفس منشأ يعرف ، ولا في الاعمال أثر يوصف ، كما هو شأن الأمة في إبان موتها
توجد عندها صور من العلوم لا تطلب بها غايتها ، وبقايا من الرسوم لا تجني منها فائدتها ،
سكون الزوج الى الزوج سبب من أسباب سعادة الزوجين وهناك معيشتهما
خاص بهما لا يشاركما فيه أحد من الأقربين والمحبين وأما المودة بينهما فهي من
أسباب سعادة عشيرتهما أيضاً لأنها متعدية فهي مبعث التناصر والتوازر والتعاقد
والتساند وبهذا تكون سبباً من أسباب سعادة الأمة المؤلفة من المشائر المؤلفة من
الأزواج فهذا التأليف هو الذي يتكون منه مزاج الأمة فما يكون عليه من اعتدال
وكمال يكون كمالاً في بنية الأمة وقررة عين لمجموعها وما يطرأ عليه من فساد واعتلال
يكون مرضاً للأمة يوردها موارد الهلكة

ان الانسان ليُشعر بحاجته في كماله الي الامة وبمحتاجها اليه في ذلك على قدر
قوة معنى الانسانية فيه فأدنى أفراد الانسان حظاً من الانسانية لا يشعر بحاجته
الي أحد ولا بحاجة أحد اليه الا من تقوم بهم شؤون حياته الشخصية فهو ينظر الي
زوجه في البيت بالعين التي ينظر بها الي شريكه في السوق أو معاملته في الحقل
وهي عين المبادلة في المنفعة وطلب الربح فاذا قدر على استبدال زوج مكان زوج
يكون به حظه من التمتع أوفر ، أو مكافأته له بالنفقة وغيرها أقل ، فهو يقدم على ذلك
فرحاً راضياً كما يستبدل عاملاً بعامل وشريكاً بشريك وأجيراً بأجير اذا رأى ان
الجديد أنفع له من القديم . فمثل هذا لا يمتد وجوده الي ما وراء محيط جسمه فلا
يتحقق فيه معنى الزوجية الذي هو عبارة عن حقيقة مؤلفة من فردين يعيشان بروح
واحدة واذا لم يصل في سعة الوجود الي أن يكون زوجاً فلا شك أنه لا يصل الي
أن يكون عضواً من عشيرة يشعر بأن له بها حياة أعلى من حياته الفردية ووجودا
أوسع من وجوده الشخصي واذا صغر عن هذا فانه يكون أصغر وأحق من أن
يشعر بمعنى الوجود القومي والحياة المليية التي ترفع صاحبها الي الشعور بأن كل عمل
من أعماله يجب أن يكون نافعاً لأمة عظيمة وان مجموع أعمال العاملين في هذه
الأمة يلحقه شرفه اذا كان شريفاً وتصيبه خسته اذا كان خسيساً وهذا هو
شأن الانسان الكامل فودة الأهل هي أول مجالي الانسانية الكاملة ولذلك

قال عليه الصلاة والسلام «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» رواه الترمذي من حديث عائشة وصححه ورواه أيضاً مصححاً من حديث أبي هريرة بلفظ «خيركم خياركم لنسائهم» وروى أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً «أكل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»

ومن المودة بين الزوجين المازحة والملاعبة ومن الرجال من يرى ان مفاكحة المرأة ومداعبتها مما يذهب بمهابتها اياه واحتشامها له وينسى ان ترك ذلك يذهب بأنسها به وسكونها اليه وحبها اياه وان الحب ليفني عن المهابة والاحتشام ان صح ان المازحة والملاعبة والمفاكحة والمداعبة لا تتفق معها وما ذلك بصحيح فان أعظم الرجال قدراً من الانبياء والحكماء والملوك المهديين كانوا يرضون نساءهم في البيوت ولا يتخون ذلك من مهابتهم واجلالهم شيئاً كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمازح نساءه ويداعبهن وقال لجابر رضي الله عنه حين استأذنه في تكاح الثيب «هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك» والحديث في الصحيحين وكذلك كان يفعل (ص) حتى رووا انه كان يسابق عائشة في المدو (الجري الشديد) سابقها فسبقته ثم سابقها فسبقها فقال «هذه بتلك» والحديث عند أبي داود والنسائي وابن ماجه وسنده صحيح . ويؤثر عن عمرانه كان يقول «كل امرئ في بيته صبي» وفي الاحياء : وقال عمر رضي الله عنه مع خشوته «ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلاً» وللدعاة في البيت حد من تجاوزته ذهبت حشمته ، ومن قصر فيه ثقلت عشرته ، واستئقال المرأة للرجل مدرجة البلاء ، ومدعاة الشقاء ،

ومن المودة بين الزوجين الاعتدال في الغيرة ، بحيث تتحامي فيها الظنة والريبة ، فينبغي للرجل أن يؤذن امرأته بأوقاته خارج البيت أين يصر فيها فان ذلك يعطي مكانه من قلبها ، ويمكن الثقة به من نفسها ، ويحول بينها وبين وسوسة الشيطان ، فلا تهمه باتخاذ الأخدان ، ويكون أعون له على إلزامها القرار في البيت وتمجري رضاه في الخروج عند الحاجة اليه . وان كثيراً من الرجال ليشاقون النساء

بالمشادة في الخروج حتى يلتفتوا بهم الربة فيوقعوهن فيها ومنهم الذين يسلسون
لهن أو يلقون حبالهن على غواربهن فيسرحن ويمرحن ويتبرجن تبرج الجاهلية
الاولى حتى يكون البيت في نظرهن كالسجن وان ملل المرأة من البيت وكراهتها
له كملل التاجر من محل تجارته والقاضي من محكمته والأ مير من امارته، وكراهة كل
عامل من عمله سبب للضياع ومعمل للخراب

ومن المودة بين الزوجين أن لا تخرج المرأة من دارها الا باذن الرجل ورضاه
وأن لا تكلفه من النفقة والزينة فوق ما يليق بحاله في الثروة وقد مضت التجارب
بأن العهد الى النساء بالنفقة يبعثن على الاقتصاد ويفرهن بالتوفير . وارجع في
سائر ما يطلب من المرأة لزوجها ولدها في المقالات السابقة فالنهوض بهامع الفبطة
والسرور هو أثر المودة المطلوبة

لو لم تكن المودة بين عشيرتي الزوجين مما يقصد بالزواج قصداً مستقلاً لكانت
مما يقصد بالتبع لتوثيق الرابطة الزوجية بين الزوجين فان احترام كل منهما القرابة
الآخر مزيد في احترامه له ولعل الذين يختارون الأزواج لمكان البيوت والعشائر
أكثر من الذين يختارون لمجرد الاستحسان الذاتي ولا تكاد تجد في العناصر
الكريمة من لا يبالي بالمنتب وانما أولئك تحوت الناس وعبيد الشهوات

ان المشاكلة بين الزوجين في السجايا والعادات كافية مع سكون الزوجية
لتتحقق المودة بينهما ولكن مكان عشيرتهما قد يفسد مودة بينهما اذا كانت غير
مرضية لهم وقد يشفع لما ينقصهما من سكون النفس ومودة القلب لحوول عاطفة الاحترام
القومي محل عاطفة المشاكلة في بعض الطباع فان لم يأت احترام المشيرة بالمودة
فهو لا يقصر عن الاتيان بالتودد وحسن المعاشرة

سل قضاة المحاكم الشرعية ووكلاء الدعاوي فيها مخبروك عن أرباب التخاصم
من الأزواج ان أكثرهم من الشذاذ الذين ليس لهم عشائر معروفة أو من البيوت
التي أفسدها الترف والتربية السوءى حتى كان أهل الزوجين هم الذين يحلون
ميثاق الزوجية بينهما ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعاً بمضارة الرجل بأمراته والمرأة بعلها باسم المحافظة على الحقوق ورعاية الشرف

وما الشرف الا في الوفاق الوثام ، والوداد والالتزام ، www.alukah.net

يقع مثل هذا مع فساد الفطرة من الذين عزموا عقدة المصاهرة على رغبة ونخير فإبال أولئك الذين يمتون الي هذا العقد بوسائل الرهبة أو الحيلة أو يهجمون على البيوت فيأتونها من ظهورها لا من أبوابها ، ويمزقون ستارها ويهتكون حججها ، وينزعون الخرائد من أكنافها ، والفرائد من أصدافها ، ويفرقون بين الاولاد والوالدين ، ويقعون العداوة والبغضاء بين الاقربين ، ماذا يكون أثرهم في البيوت التي تتكون منها الأمة وفي الأمة التي تتكون من البيوت ؟ لا يغيب عن عاقل ان شرهم مستطير ، وان ما يفعلونه فتنة في الأرض وفساد كبير ، (للكلام بقية)

فَتَاوَى الْمَبَانِي

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ونقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بهد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالباً ورمنا تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولن نغني على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

— تزويج الشريفة بغير شريف وفضل أهل البيت —

(س ٢٩) مستفيدني (سنغافوره) سيدي هل هذه الفتوى (المذكورة أدناه) صحيحة ويجوز العمل بما فيها أم الاصح خلافها أفيدونا لازلتم خير خلف خير سلف عن جوهر الاسلامية وأرجو من حضرتكم الكلام عنها في المنار وهي :

ماقولكم في من يستحل تزويج الشرائف بمن ليسوا بأشراف بل لو كان بعضهم يزعم أنه هاشمي أو مطلبى أو من بقية قريش فهل يصح تزويجهم بالشرائف أولاً

— الجواب والله أعلم بالصواب —

اعلم أن مراعاة الكفاءة في النكاح واجبة وهي في النسب على أربعة درجات (كذا) الاولى العرب لا يكافئهم غيرهم من العجم الثانية قريش لا يكافئهم غيرهم من بقية العرب الثالثة بنو هاشم وبنو المطلب لا يكافئهم غيرهم من بقية قريش الرابعة أولاد فاطمة الزهراء بنو الحسن والحسين رضي الله عنهم لا يكافئهم غيرهم من بني

هاشم والدليل عليه كما في التحفة والنهاية وغيرها خبر مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال «ان الله اصطفى من العرب كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم» والاحاديث الواردة في فضل العرب وفي فضل قريش وفي فضل بني هاشم كثيرة جداً وقال ابن حجر في التحفة والرملي في النهاية اولاد فاطمة لا يكافئهم غيرهم من بقية بني هاشم لأن من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان اولاد بناته ينتسبون اليه في الكفاءة وغيرها كالوقف والوصية كما صرحوا به (انتهى) لأنهم ابناءؤه كما ثبت في قصة المباهلة في قوله تعالى «ندع ابناءنا وابناءكم» فانه ورد انه خرج ومعه الحسن والحسين وعلي وفاطمة وروى الحاكم قال صلى الله عليه وسلم لكل بني أم عصبه الا ابناء فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم وأخرج الترمذي عن أسامة انه صلى الله عليه وسلم اجلس الحسن والحسين يوماً على فخذه وقال هذان ابناي وابنا بنتي اللهم اني احبهما فأحبهما وأخرج الطبراني وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال : كل بني أم ينتمون الى عصبه الا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم (انتهى)

فقول الشارع نص ويترتب عليه أحكام البنوة في الاشباح والارواح كالحسن والحسين وأولادها والتشريف ببعض خصائصه صلى الله عليه وسلم كوجوب الصلاة عليهم ودخولهم في آية التطهير وتحريم الزكوة عليهم وافراض محبتهم على الامة وغير ذلك ثم اعلم ان الشرف قسيان ذاتي وصفاتي وقد اصطلح العلماء على ان الشرف الذاتي للنبي صلى الله عليه وسلم ومنه بالنسبة لذريته فكما كانت ذات النبوة مختارة الله من الوجود جعلها الله معدناً لكل نعت محمود ولم يزل يسري منها في شعبها مظهرها في المعدن ومع ذلك فقد بالغ الجليل الكبير في كمال التطهير لها كما قال «ويطهركم تطهيراً» لا يعمل عملوه ولا يصلح قدموه بل بسابق عناية من الله لهم فتأثير البضعة النبوية لا يدركه اكابر الاولياء من غيرهم ولو جاهدوا ابدالاً باد ولهذا السر قال الله «قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى» اذا عرفت ذلك واتضح لك ان مقام ذات النبوة وقدرها لا يدرك وعرفت ان الكفاءة عند العرب بل وغيرهم أمر مرعي وقد جاء الشرع في ذلك على موافقة عادتهم وعرفت ان نزوح

الأذى بمن ليس كفوءاً لها ملحق عاراً على عصبتها كما صرح به الفقهاء الواصل ذلك العار عند تزويج الشرائف بغير الأشراف إلى مقامه صلى الله عليه وسلم تحقق لديك أن الجراءة على ذلك إيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم ولذريته وأي إيذاء أعظم من إلحاق العار فقد قال صلى الله عليه وسلم: من آذى أهل بيتي فقد آذى الله ومن آذاني فقد آذى الله. وقال عليه الصلاة والسلام: لا تؤذوني في أهل بيتي الخ وقال عليه الصلاة والسلام: احفظوني في أهل بيتي: فأيندوهم من أكبر الكبار ومن استحله كفر فلا يجوز تزويج غير السيد بالسيدة ولورضيت وأسقطت الكفاءة أورضي وليها لأن الحق ليس لها لأنه شرف ذاتي ليس من كسبها حتى يسقطاه بل له صلى الله عليه وسلم وكفاة أبناء الحسين ولا يتصور رضاهم وقد ثبت أنهم موال على ما سواهم من كفاة الخلق بنص حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» وهل يجوز تزويج العبد مولاته لا قائل به بل قد منع خليفة الزمان السلطان عبد الحميد خان أيده الله تبعاً لسلفه تزويج السيدات بغير السادة وأمر الخليفة يجب العمل به في المباحات فضلاً عن الموافق للحكم الشرعي . وأما ما نسب إلى الإمام مالك عالم دار الهجرة رضي الله عنه من أن المسلمين أكفاء فلا يبعد أنه مقول عليه لأنه ثبت عنه أنه امتنع من لبس النعال في المدينة وقال أستحي أن أطأ بعلي أرضاً وطئها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه فمن استعظم واستشرف أرضاً وطئها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه يبيح ويستحل افتراش ووطء بضعته صلى الله عليه وسلم يجعل قدره عن ما نسب إليه رضي الله عنه وفي هذا القدر كفاية لمن من الله عليه بالهداية ومن قال بخلاف ما ذكر فيما عدم اطلاع وإما جهل بقدره صلى الله عليه وسلم وقدر أهل بيته بل من تجراً وارتكب ذلك بعد اطلاع على ما ذكر فهو ضعيف إيمان بل مسلوبه لمراغمته ومعاذته للشرع يخشى عليه من سوء العاقبة «ومن يضل الله فلا هادي له» حفظنا الله من ارتكاب الموبقات وعصمنا من الهجوم على الخطيئات وعرفنا قدر نبيه وأهل بيته السادات أنه ولي التوفيق غير أنه معلوم لذي عقل أنه للضرورات تباح المحظورات وارتكاب أخف الضررين لدفع الأشد متعين فلا يلزمك العناد ارتكاب الفساد والعدول

عن سبيل الرشاد. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم: قاله بضمه وكتبه بقلمه أضعف الناس عمر بن سالم العطاس عفى الله عنه آمين وذلك في شهر محرم سنة ١٣٢٣

(ج) سبق لنا أن نشرنا في هذه المسألة سوًا لأحد القراء في سنغافورة في واقعة حال هناك ثم جاءنا من سنغافورة رسالة بتوقيع أحد الحضارمة رغب الينا مرسلها أن نرسلها له بحرفي ع. ب قال فيها بعد الثناء والإطراء ان ما نشرناه في الواقعة (في ج ٨٦) لم يكن السؤال فيه مطابقاً للواقع وان الشريفة التي تزوجت بالسيد الهندي قد زوجها وليها الشرعي برضاه ورضاها مع علمها بأن الزوج مطعون في نسبه على أنه قد شهد ١٢ شاهداً من أهالي بلده وغيره بالسيادة له وان ما ذكره السائل أيضاً عن طعن ذلك الرجل بكتب الشرع غير صحيح وطلب منا هذا الكاتب أن نذكر الحكم في الواقعة على ما قرره هو من تزويج ولي الشريفة لها برضاه ورضاها على أنه لا حاجة الى ذلك فان الجواب الأول ناطق بصحة العقد في هذه الحالة. وقد فهمنا من الرسالة ومن مجموع ما كتب الينا في معناها من تلك الجزيرة ان سبب الاهتمام بهذه المسألة هو أن بعض السادات الحضرميين الذين يوجد منهم طائفة هناك غالون في التفاخر بأنسابهم، والادلال باحسابهم، ولذلك ذهبوا في الفلوة الى ماتراه في فتوى الشيخ عمر بن سالم العطاس التي سألتنا عنها أحد القراء في سنغافورة وقد أرسلنا الينا صورتها مطبوعة فعلمنا أنهم طبعوها ووزعوها لاثبات اعتقادهم في أنفسهم

أما الحق في مسألة الكفاءة فهو ما بيناه في الجزء العاشر من المجلد السابع أيام حادثة الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد وقد نقل المؤيد ما كتبناه يومئذ فاطلع عليه الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية رحمه الله تعالى وكان في مصيف رأس البر فكتب اليّ « اطلعت في المؤيد على ما كتبت في الكفاءة والأولياء واستحسنته » وإنما اطلع عليه في المؤيد لانه نشر فيه ما كتبت قبل أن أرسل المنار ولذلك كتب اليّ الامام في ذلك الرقيم « كنت أنظر أن يصل اليّ المنار هنا ليكون مما ألقى عليه نظري اذا أرجعته عن أمواج البحر الابيض ولم أطلقه الى بساط النيل الاحمر فاني جالس طول يومي بين البحرين » والمقصود ان الاستاذ الامام

قد أجاز ما كتبه في الكفاءة فكأنه أقي به

أما المنزع الذي رمى عنه الشيخ سالم العطاس فهو غريب وأوغله في الغربة والغرابة جعل الكفاءة في الشرفاء حقاً للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع أبناء الحسين بحيث لا يصح تزويج الشريفة بغير شريف ولو رضيت ورضي وليها اذ لا يتصور أن يرضى النبي (ص) وسائر الشرفاء في مشارق الأرض ومغاربها واستدلاله على ذلك بكونه ايذاء للنبي بايذاء أهل بيته قال وايدأؤهم من أكبر الكبائر يكفر مستحله ثم استدلاله أيضاً بحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» على كون ذراري علي موال على من سواهم من جميع الخلق بالنص وخروجه من ذلك الى ان جميع الناس عبيدهم وأنه لا قائل بجواز تزويج العبد لمولاه نهوذاً بالله من هذا الغلو والغرور

يستدل الشيعة بحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» على ان علياً أحق بالخلافة ممن سبقه فيها ولا أعرف عنهم أنهم بعدوا في الاستدلال الى جعل جميع الناس عبيداً له ولذريته بل لم يقل مسلم بأن الناس عبيد للنبي صلى الله عليه وسلم بل الاسلام يمنع هذا فمن أين جاء به العطاس يرحمه الله ويصلح باله . وكيف يتفق استنباطه هذا مع ذكره السلطان عبد الحميد بلقب الخلافة واذا كان غير الشريف العلوي الفاطمي لا يجوز أن يكون زوجاً للشريفة لانه عبدها فكيف يكون العبد خليفة على ساداته ومواليه الذين لا يحصى عددهم والخليفة مولى لرعيته يجب عليهم طاعته في كل معروف وأما الزوج فليس مولى لامراته بهذا المعنى بل يقول جماهير الفقهاء انه لا يجب عليها طاعته الا في المكث في البيت والتمكين من الاستمتاع . والحق ان لفظ المولى في الحديث معناه الناصر كما قال الجوهري في الصحاح ويطلق في اللغة على الصاحب والقريب والجار والحليف والنزيل والشريك والعبد والمعتق والمعتق فكيف يسمح لنا الدين أن تتخطى هذه المعاني ونقول ان الحديث نص في أن الناس عبيد لذرية علي؟ هل كان أبو بكر وعمر والعباس وغيرهم من الصحابة وسائر المسلمين عبيداً لعلي في حياته وهل ملك أولاده من بعده الناس بالارث أم نص الحديث دال على انهم يملكونهم بالاستقلال في كل زمان؟ ظاهر قول

المطاس الثاني وكل مسلم يبرأ الى الله من الاول والثاني

كان الشرفاء وما زالوا يزوجون بناتهم من غيرهم وجميع العلماء يستحلون هذا مع التراضي وسائر الناس تبع لهم فيه فهل يقول المطاس ان جميع من استحل ذلك كافر حتى المزوجون والمزوجات بالرضى والاختيار فيكفر الشرفاء مبالغة في تعظيمهم ؟؟
ليس هذا المنزع الذي رأيت بأغرب من منزعه الآخر في جعل النسبة الى الحسن والحسين في معنى نبوة النبي عليه الصلاة والسلام من حيث ان شرفها ذاتي غير مدرك وأنها من اختيار الله تعالى وانها منبع لكل نعت محمود وأن أكابر الاولياء لو جاهدوا أبداً لا يلاحقون لشريف أترأ لأن الله تعالى بالغ في كمال تطهير آل البيت اذ قال «ويطهركم تطهيراً» لا يعمل عملوه ولا يصلح قدموه بل بسابق عناية من الله لهم: ثم قال ولهذا السر قال الله «قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى»

فانظروا أيها المنصفون كيف يلعب بكتاب الله ويحرف كانه عن معناه ، بدعوى الاهتداء بهديه، والعمل بأمره ونهيه، وإنما هو اتباع الهوى، شرد بالفالين عن مهدي الهدى ، وأحمد الله تعالى أن جعلني شريفاً غير مفتون، وجنبي وقوي مزال الغرور ، فأما قوله تعالى «أنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» (سورة الاحزاب ٣٣-٣٣) فقد ورد تعقيباً لا آيات في خطاب نساء النبي عليه الصلاة والسلام يأمرهن الله تعالى بها وينهاهن ويعلمن بأن جزاءهن على الخير والشر مضاعف لأنهن لسن كسائر النساء وهذا ظاهر معقول المعنى فان بيت المرشد الكامل قدوة في الهدى والرشاد ولو ظهر العمل السيء من ذلك البيت الذي جعله الله منبعاً للهدى ومشرقاً للوحي لكان أعظم منفر عن الاهتداء والايان فقوله تعالى بعد تلك الاحكام «أنما يريد الله» الخ تمليل وبيان للحكمة في كون نساء النبي لسن كسائر النساء وكونهن جديرات بمضاعفة المذاب على المعصية والثواب على الطاعة لمكان القدوة. كقوله تعالى بعد ذكر أحكام الصيام وما فيها من الرخص «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» وإنما قال «عنكم» لان النبي صلى الله عليه وسلم في البيت وهو المقصود بالتطهير أولاً وبالذات لأن كمال نسائه ينسب الى هدايته صلى الله عليه وسلم

وأما قوله تعالى « قل لأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » فليس معناه انه يطلب من الناس مودة قرابته أجرة لتبليغه أحكام ربه حاش لله ما كان لني أن يطلب على التبليغ أجراً كما نطق القرآن ونهض البرهان وإنما الاستثناء منفصل ومعناه لأسألكم أجراً على ما جئتم به فتوهموا اني طالب منفعة نفسي وإنما أسألكم ما هو نافع لكم وهو المودة في القرابة أي ان تودوا ذوي القربى منكم فهو إذا بمعنى ما يؤثر عن الأنجيل من الأمر بمحبة القربى أو أن تودوني في قرابتي منكم لا لأنني يفت لهدايتكم فعاملوني معاملة سائر الاقربين ولا تؤذوني وأما الدين فلكم دينكم ولي دين لست عليه بجبار، وإنما عليّ البلاغ وللناس الخيار وعقب هذا بقوله « ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسناً » والآية من سورة الشورى وهي مكية من أول القرآن نزولاً وأمثال هذا الخطاب في الدعوة والاستمالة الى الحق كثيرة ولا يمكن أن يحمل لفظ القربى فيه على ذرية فاطمة عليها السلام لما تقدم ولانها لم تكن تزوجت ولا ولدت في ذلك العهد

سبق للمناقرة قول في تفسير هذه الآية وفيه ان الشيعة هم الذين افتحروا لها هذا المعنى غافلين عما وراءه من الطعن في الرسالة واحتجاج الكافرين علي المؤمنين بأن الرسول كان يطلب بدعوته الدنيا لذريته كالمالوك والامراء. وإن القرآن بجملته وتفصيله وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه وأهله ومعاملته للناس وتوازيهم الاعمال كل ذلك مما ينسف هذه الشبهة نسفاً

أي غلوّ العطاس يرحمه الله ويصلح باله ليس بالقریب؟ أنكاره قول الإمام مالك: ان المسلمين أكفاء: واحتجاجه على ذلك بما كان من أذب هذا الامام مع النبي عليه السلام اذ كان لا يطاء أرض المدينة بالنعال واستنباطه منه عدم اباحة افراش البضعة النبوية ووطنها؟ أيظن أن الامام مالكا كان يحرم أن يمشي الناس في المدينة بالنعال، أو أن تركب فيها الحميز والبغال؟ أيظن أنه يقيس اتخاذ المرأة زوجاً وقرينة للرجل تشاركه في نعمته وتتحمد معه في معيشته على وطء الأرض بالنعل أو بغير النعل؟ ما هذا الفقه المقلوب؟

يسهل على من يسلك مسلك هذا المفتي في الاستنباط أن يستخرج من كلامه

ما يعده الفقهاء من المكفرات فيكفره كما كفر من يخالف فتواه أو كاد يكفر بها جميع المسلمين والحق أنه لا يحكم بكفر أحد من أهل القبلة إلا بقول أو عمل يدل دلالة قطعية على أنه لا يؤمن بالله وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هو متواتر مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فمن آذى شريفاً من آل البيت لحظ من حظوظ الدنيا يكون عاصياً لله كما لو آذى غيره لأن الأيداء حرام وأما من يؤذي الشرفاء لأنهم ينتمون إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلا قرب أن يكون أيداًؤه إياهم بهذا القصد، ما ولا لكفره به لاعتله إذ لا يعقل أن يقصد المؤمن ذلك ولا يظهر هذا إلا فيمن يؤذي كل من قدر على أيدائه منهم فتى خصص فرداً أو أفراداً علم أنه لا يؤذيهم لأجل النسبة

وجملة القول أن الشريعة الإسلامية شريعة عدل ومساواة لا شريعة تقسيم ومحاباة وأحكامها عامة مدار العبادات فيها على تزكية النفس وتحليتها بالفضائل ومدار المعاملات على درء المفسد والمضار وجلب المنافع وحفظ المصالح وليس لأحد أن يخص الشرفاء أو غيرهم بأحكام شرعية تؤخذ بالتسليم على أنها من التعبد فأبناء الحسين وغيرهم من الناس سواء في أحكامها وهو وارد في تخصيص آل النبي (ص) ببعض الأحكام كتحریم الصدقة عليهم معقول المعنى ولا يجوز لأحد أن يزيد عليه لأن التخصيص خلاف القياس فلا يقاس عليه وفي الحديث الصحيح أن الأكل في باب تحريم الصدقة هم بنو هاشم وبنو المطلب لأذرية فاطمة خاصة. وإن الكفاءة في النكاح لا يستدل عليها بالفضائل والخصائص وإنما يرجع فيها إلى نص الشارع أو القياس الصحيح. أما نص الشارع فلم يصح منه في مسألتنا شيء قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: لم يثبت في اعتبار الكفاءة في النسب حديث وأما ما أخرجه البزار من حديث معاذ رفته «العرب بعضهم أكفاء بعض والموالي بعضهم أكفاء بعض» فإسناده ضعيف: اهـ وإنما الكفاءة الثابتة في السنة خاصة بالدين والحرية والأخلاق واليسار وهذا ما كان عليه أكثر أهل الصدر الأول ومن قال من الفقهاء باعتبارها في النسب فحجته الصحيحته القياس ومداره على دفع العار فإذا لم يكن هناك عار بالفعل فلا اعتبار بالنسب في الكفاءة

وعلى هذا أكثر البلاد الإسلامية فيما نظن وإذا رضيت امرأة شريفة هي وأولياؤها بالتزوج بمن ليس بشريف في بلاد يمد ذلك فيها من العار فلا حرج عليهم لأنهم أعلم بمصلحتهم وأحرص على شرف أنفسهم والامر ليس بتعدي ولو كان ما ذكره العطاس من فضل أهل البيت يجعل استنباطه صحيحاً وداخلاً في الاحكام التعبدية لكان لنا أن نقول مثله في العلماء فان ما ورد في الكتاب والسنة في مدح العلم والعلماء أعظم وأظهر مما ورد في آل البيت فهل نقول إنه لا يحل للعالم أن يزوج ابنته بمن ليس بعالم لأن ذلك اهانة للعلم الذي عظمه الله تعالى فالامر فيه ليس اليه وإنما هو متعبد بذلك؟ كلا ان الزواج من المعاملات التي تبنى على أساس المصلحة وكل قوم أعلم بمصلحتهم والشرع لم يحجر عليهم في اختيار الخير وإنما حرم عليهم الإيذاء والله أعلم وأحكم

هذا وانى لأظن بالشيخ عمر بن سالم العطاس الاخير وحسن النية وأشكر له حبه للشرفاء ولولا أن فتواه طبعت لارردت عليها في المنار وأسأل الله تعالى أن يحفظنا وايامه من الغلو ويلهمنا رشدنا أجمعين

﴿ ضمان البضاعة و سلع التجارة والسيكارتو ﴾

(س ٢٩) سألنا كثيرون من أهل هذا القطر وغيره من الاقطار عما جرى عليه عرف التجار من ارسال البضائع للبلاد مضمونة من شركة تسمى شركة الضمان وقد أرجأنا الجواب عن ذلك لأجل أن نبحث عن كيفية هذا التعامل بنفسنا فنجيب عن بصيرة ولم يتيسر لنا ذلك وقد جاءنا من عهد قريب صورة فتوى في ذلك من سنغافورة يسألنا مرسلها عن رأينا فيها فلم نجد بداً من التعجيل بنشرها وبيان رأينا فيها وهذه هي :

بسم الرحمن الرحيم رب زدني علماً ولا تزغ قلبي بمسء اذا هديتني الحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله ، أما بعد فقد ورد عليّ سؤال من بعض التجار القاطنين بمدن فيما أكثر تعاطيه في الناس ليكونوا على بصيرة من أمره ونص سؤاله هو .

ماقولكم دام فضلكم في معاطاة التجار مع الافرنج الجارية في هذا الزمان



بغير صيغة شرعية أصلاً وهو ان التاجر اذا أراد ارسال مال له الى بلد أخرى على طريق البحر يطلع ماله في احدى البوابير الذاهبة الى تلك البلاد المطلوب ارسال المال اليها. فاذا أطلع التاجر ماله وسلم نولاً على المال وأخذ ورقة من قبطان الوابور بوصول المال اليه في الوابور ومقداره وثمنه ثم اذا كان موجود احد الافرنج وعرض التاجر عليه ورقة صاحب الوابور وسلم له على المال المقدر فيها على كل مائة (ربية) خمس (ريبات) يقدر المال الذي طلعه ثم يسلم له الافرنجي ورقة بعلامته متضمنة بكلام الافرنج ضمانة المال عليه اذا غرق في البحر فهو يعطيه ثمنه بقدر ماهو محررفي ورقة قبطان الوابور وسمو هذه المعاملة « بيمه » . ثم انه يوجد افرنجي آخر اذا احتاج التاجر المذكور ثمن ماله الذي أرسله مقدماً فيعرض عليه ورقة الأفرنجي المتضمنة الضمان للمال فعند ما يراها يقدم للتاجر ثمن ماله ويحوله التاجر على وكيله الذي يستلمه بتلك البلدة الاخرى ان سلم المال من الفرق والا فيستلم ذلك الافرنجي الاخير من الافرنجي الاول الذي سلم الورقة المتضمنة لضمان المال بلغتهم فهل والحال هذا اذا جرت هذه المعاملة مناهع أهل حرب أو مؤمنين من غيرالفاظ شرعية أصلاً تكون من قبيل مالو أعطونا شيئاً من حقهم مجاناً برضاهم ويجوز أخذها أم لايجوز ذلك أصلاً افتونا مأجورين نفع الله بكم المسلمين . اهـ .

﴿الجواب﴾ فقلت وبه القوة والحول ان هذه المسئلة هي من حوادث الزمن الاخير لم أر من تكلم عليها من أئمتنا الشافعية في كتبهم المتأخرة فيما اطاعت ومن حيث ان الباع قصير والمقام خطير تكأ كأت مدة عن الجواب، وصاحب السؤال يلح علي في الخطاب، ويطلب مني بيان حكم الله تعالى فيها فلم أجد بداً من اسمافه فاقتحمت ذلك، متحرياً فيما هنالك، مجتهداً في استخراجها من كلام الأئمة تصريحاً أو تلويحاً فأول ماوقفت على كلام في ذلك لحائمة محققي السادة الحنفية الامام السلامة ابن عابدين في حاشيته على الدر حيث قال في فصل في استئمان الكافر بعد كلام في ذلك مانصه (وبما قررناه يظهر جواب ما كثر السؤال عنه في زماننا وهو انه جرت العادة ان التجار اذا استأجروا من كباً من حربى فيدفعون له أجرته و يدفعون أيضاً معلوماً لرجل حربى مقيم في بلاده ويسمى ذلك المال (سوكره)

على انه مهاهلك من المال الذي في المركب بحرق أو غرق أو نهب أو غيره فذلك الرجل ضامن له بمقابلة ما يأخذه منهم وله وكيل عنه مستأمن في دارنا مقيم في بلاد السواحل الاسلامية بأذن السلطان يقبض من التجار مال السوكره واذاهلك من مالهم في البحر شيء، يؤدي ذلك المستأمن للتاجر بدله تماماً والذي يظهر لي انه لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك من ماله لان هذا التزم مالا يلزم اه . أي فلا يحل أخذ ماله بعقد فاسد أي هذا الحكم مع المستأمن في دارنا قال بخلاف المستأمن في دار الحرب فان له أخذ مالهم برضاهم ولو بر با أو قمار لان مالهم مباح لنا الا أن القدر حرام وما أخذ برضاهم ليس غدرًا من المستأمن منهم في دارنا لان دارنا محل اجراء الاحكام الشرعية فلا يحل لمسلم في دارنا أن يعقد مع المستأمن الا ما يحل من العقود مع المسلمين ولا يجوز أن يؤخذ منه شيء لا يلزمه شرعًا وان جرت به العادة كالذي يؤخذ من زوار بيت المقدس : اه ما نقلته عن حاشية الدر لابن عابدين

نرجع الى الحكم علي عدن هل هي الآن دار حرب لاستيلائهم عليها أو باقية دار اسلام على أصلها نص في شرح الدر ان دار الاسلام تصير دار حرب بثلاثة أمور باجراء أحكام الشرك وبتواصلها بدار الحرب ولا يعد البحر فاصلا بل قال تقدم ان بحر الملح ملحق بدار الحرب والشرط الثالث أن لا يبقى فيها مسلم أو ذمي آمن بالأمان الأول على نفسه أي الأمان الذي كان ثابتًا قبل استيلاء الكفار للمسلم باسلامه وللذمي بعقد الذمة اه . بتوضيح في حاشيتها لابن عابدين ولا شك ان هذه الشروط قد وجدت في عدن فهي دار حرب عند السادة الحنفية يجوز للمسلم فيها أخذ مالهم برضاهم ولو بر با وقمار كما تقدم آنفًا عن العلامة ابن عابدين أما عند الإمام الشافعي فلا تعتبر دار الاسلام دار حرب مطلقًا أي سواء غلب عليها الكفار أم لا منعوا المسلمين أم لا كما في باب الجهاد من شرح المنهاج للإمام ابن حجر رحمه الله تعالى

هذا ما عند السادة الحنفية أما حكم السؤال على مذهب السادة الشافعية فالذي ظهر لي من كلام فقهاءنا انه اذا لم تجر هذه الالتزامات بمعاطاة أو صيغ فاسدة في الشرع ولا يتلفظ بشيء منها بل يعطيه ذلك المال بمجرد اوراق

تتضمن ذلك الالتزام عن وجه رضاء واختيار فلا بأس بقبوله من كافر أو مسلم وما أظن أحداً يخالف في جواز قبوله كيف وقد نبه العلامة ابن حجر في الإيعاب في باب البيع عند القول بجواز المعاوضة حيث قال ولك أن تقول الكلام جميعه مفروض فيمن لم يعلم أو يظن رضا المأخوذ منه ولو بلا بدل أمان علم أو ظن رضاه فلا يتأتى فيه خلاف المعاوضة لأنهم إذا جوزوا لهم الأخذ من ماله مجاناً مع علم الرضا أو ظنه فلأن يجوز الأخذ عند بدل الشيء أولى لأن المدار ليس على عوض ولا على عدمه بل على ظن الرضا فحيث وجد عمل به وحينئذ لا يكون أخذاً من باب البيع لتعذره بل من باب ظن الرضا بما وصل إليه وعجيب من الأئمة كيف أغفلوا التنبيه على ما ذكرنا وكأنيهم وكأنيهم وكأنيهم كونه معلوماً اه كلام الإيعاب وكذلك ما يؤخذ في صورة السؤال لا يكون من باب الضمان ولا عدمه بل من باب أخذه بالرضا والاختيار هذا ما ظهر لي في المذهبين وفوق كل ذي علم عليم والله سبحانه وتعالى أعلم (الحتم) (الواثق بنحفي الألفاف علوي بن أحمد السقاف) كان الله لها أمين

ثم كتب عند قوله بل من باب أخذه بالرضا والاختيار : ولك أن تقول هذا الكافر الملتزم للفرم عند التلف فيما كتبه للمسلم متردد بين غم وغرم فيحتمل أن يكون من أنواع القمار الممنوع اقراره عليه فنقول على فرض تسليمه انه نوع منه فلا يمنع منه إلا أن كان من الملتزمين لأحكامنا أما كالأذي في عدن كما هو في صورة السؤال فليس من الملتزمين لأحكامنا بل ربما قهرونا على مجاراة بعض أحكامهم كما هو مشاهد فلا مانع من أخذ ماله برضاء هذا ما تبادر الى فهمي الفاتر وعلمي الناقص فان أصبت فمن عند الله وان وجد نص يعتمد بخلافه فالمرجع اليه والله ولي التوفيق

﴿ المنار ﴾

ان ما يسمونه (سوكرة البضائع) عقد تأمين وضمان يكون بين التاجر صاحب البضاعة

والبضاعة وبين رجل آخر هو وكيل شركة كبيرة والورقة التي ذكرها السائل العدني في استفتائه هي صك بعقد التأمين والضمان فهي متضمنة للإيجاب والقبول والفقهاء يهدون هذا العقد فاسداً لأن الضامن يلتزم فيه ما يلزمه شرعاً وكان يظن أنه يأخذ ما يأخذه بدون مقابل ولكننا علمنا من بعض التجار أن لهذه الشركة التي تؤمن

التجار على بضائعهم وتضمن لهم ما يهلك منها أعمالاً في حفظ البضائع تتفق به مع شركات النقل في المراكب وغيرها فهي إذاً من قبيل الاجارة كأن التاجر يستأجر صاحب الباخرة للنقل وصاحب التأمين للحفظ فما يأخذانه من المال على ذلك يعد أجرة عملها فعلى هذا يجوز للتاجر أن يسوكر بضاعته ثم إذا هي تلفت بتقصير في الحفظ جاز له أخذ الضمان عنها وأما إذا تلفت بدون تقصير في حفظها فلا يجوز عند الفقهاء أخذ الضمان لأنه لا يلزم الأجير وإن التزمه وقد خرج السقاف الجواز في الواقعة المسئول عنها على مذهب الحنفية بأنه أخذ مال المرابي بعقد فاسد بغير عذر ولا خيانة وهو جائز وعلى مذهب الشافعية بأنه مال أخذ برضاء صاحبه وسكت عن إعطاء الاجرة

ويجب التنبيه هنا الى مسألة مهمة وهي أن ما يشترطه الفقهاء باجتهادهم من شروط صحة العقود وفسادها ولزوم ما يلتزم فيها وعدمه ونفوذ الحكم بها وعدم نفوذه ليس من الامور التعبدية التي يتقرب بها الى الله تعالى بحيث يكون العقد الفاسد معصية من المتعاقدين وإن كان برضاها واختيارها بلا غش ولا تفرير كلاً ان هذه المسائل وضعت لاجل ضبط الاحكام وحفظ الحقوق وتسهيل الحكم بالعدل على القضاة فهي لا تسلب الناس حرية التصرف في أموالهم بما يرونه نافعا لهم في حفظها أو تنميتها مع التزام حدود الله الثابتة في كتابه العزيز وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كتحريم الغش والتفرير والخداع والغصب ونحو ذلك وهذا هو مراد ابن حجر الفقيه اذ جوز الأخذ والاعطاء بالتراضي فيما كان مخالفاً لشروط صحة عقد البيع (ومثل البيع غيره من العقود) فكأنه قال ان هذه الأركان والشروط التي ذكرها لصحة العقود هي التي يلزم الحاكم الناس بها اذا تنازعوا فاذا تراضوا فيما بينهم على خلافها فلا حرج عليهم وعد هذا من الامور التي سكت عنها الأئمة لكونها معلومة بالبداهة فتبين من هذا ان العاقل الرشيد له أن يتصرف في ماله ما لم يرتكب محرماً والمحرم فيه ضرر بالفاعل أو بغيره فاذا ثبت بالاختبار ان هذه (السوكرة) نافعة غير ضارة فهي جائزة اذ لم يرد نص من الشارع في تحريمها ومدار الاجتهاد في أحكام المعاملات على دفع الضرر وجلب المنفعة وحفظ المصالح واذا أثبت بالاختبار انها ضارة ومضيفة للمال بغير فائدة كانت محرمة والله تعالى أعلم

باب التوب والتجمل في

﴿ المكتوب الثالث - من «إميل» الى أمه (*) ﴾

افضاؤه اليها بحبه لقينة من المثلثات - كيف تعلق قلبه بها - استعلامه سيرتها - تمنيه انقاذها مما هي فيه - طلبه المغفرة من أمه بعد اعترافه لها بالحب .

تحريراً في ١٢ مايو سنة ١٨٦

اني منذ عرفت نفسي ابثك جميع ما يسوءني وما يسرني وما أكره وما أحب
وأكاشفك بالخير والشر ولا أكرم عنك شيئاً حتى اني لما كنت بحضرتك
ما كنت في حاجة الى البيان لانك كنت تطالعين أفكاري في عيني وتبصرينها
تجول على جيني وهذه أول مرة لي في حياتي أسررت فيها سرا وليت شعري
أبوح به الي قصب نهر الرين ؟ إذا تضاحك مني كما تضاحك من اذني الملك
ميداس (١) أم أبته الى القمر؟ كلا فقد سمع كثيراً من أمثاله أم كنه في قلبي؟
إذا الأنسبني عليه سريري . ما أنا بفاعل شيئاً من ذلك بل أريد أن أودعه صدراًمي
على ان الإفضاء به ليس من السهولة بالمقدار الذي كنت أتوهمه فاني ما أنشأت
أخط هذه السطور الاولى من مكنوبي حتى ارتعشت يدي وخفق قلبي ولست إخالك
الا ساخرة مني ولكن أقل ما أنا واثق به منك انك لن تجدي علي أن صدقك
الخير وإذا كان الامر كذلك فلا بد من افشائه وهو اني أحب !
الآن أراك تسأليني من هي التي تحبها وأين رأيتها وكيف عرفتها وفي هذه

(*) معرب من باب تربية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

(١) ميداس بحسب ما جاء في أساطير اليونان هو ملك فريجيا وهي قطر من أقطار آسيا
الصغرى اشتهر بواقعتين نذكر إحداهما فقط لاختصاصها بهذا الموضوع وهي ان ابولون بن
المشترى حكاه في المناظرة التي قامت بينه وبين بان إله الرعاة في الموسيقى والشعر والفنون وكان بان
صديقاً للملك فحكم له فلم يكتف ابولون في الانتقام من ميداس بسلفخ جلده حيا بل جعل له
بدلاً من أذنيه أذني حمار فنظامها ميداس بتاج حتى لا يظهر للناس ولما علم ان حلاقه لا بد له
من رؤيتها عاهده على كتمان أمرها ولكن الحلاق لم يلبث أن ثقل عليه الكتمان فاختفر حفرة
في الأرض عمز عن الناس وأسر فيها قوله ان للملك ميداس اذني حمار فاتفق بعد حين أن
نبت في هذا المكان قصبات كانت كلهازتها الريح كررت هذا القول

في مدينة بُن ملعب من الطبقة الثانية غير انه مشهور بحسن اختيار القصص التمثيلية فيما يمثل فيه قصة مريم استوارت (١) وقصص شيلار (٢) وقصة غويت عن فوست ومرغريته (٣) وغيرها من القصص الشهيرة والموسيقى والأغاني الموقعة عليه في هذا الملعب يومان أو ثلاثة تحل فيها محل الأدبيات والوقائع التمثيلية وأنا أذهب اليه في بعض الاحيان لسببين أولهما ترويح نفسي من عناء الدرس وثانيهما إيلافها أصوات اللغة الألمانية فمن نحو شهر ابتدأت قينة باقيرية (٤) فنية تفني على الموسيقى هناك وكان أول ما غنته قصة النبي من توقيع ماير بير فبلغت من الاجادة في تغنيها الى حد أن جميع طلبة الجامعة كانوا يلهجون بندكرها كأنها آية من الآيات فجزيت معهم في مساق الاعجاب بها ولما انطلقت الى الملعب ورأيتهما داخله في باحة التمثيل كان كلي عيوناً تبصر وأذاناً تسمع وليس صوتها هو الذي اشتد اعجابي به مع كونه من أندى الاصوات وأندرها بل الذي ملأني اعجاباً هوماني تغنيها من الروح بل مافي خلقها من الحسن والائقان فبت ليلى كله أحلم بها ولا يفارقي طيفها وكنت أراها بين الافلاك السماوية وأسمع أنغام الكواكب الموسيقية فكان فيثاغورس (٥) كان يحب قينة مثلي عند ما كان يحدث تلاميذه عن حسن ألحان النجوم

ولخوفي من انقضاء اعجابي بها فيما يلي من التمثيل عاهدت نفسي على أن لأختلف الى الملعب ليالي تغنيها ولكني ما استطعت أن أوفي بعهدي وقد اتفني

(١) مريم استوارت هي بنت يعقوب الخامس ملك ايقوسيا ومريم لورين ولدت سنة ١٥٤٢ م وماتت سنة ١٥٨٧ م تزوجت بولي عهد فرنسا (من اول حكم فرنسيس الثاني) وبعد موت زوجها رجعت الى ايقوسيا وتزوجت بهنري درنلي ثم بالكونت بوتويل ثم ثار عليها عاياتها فلاذت باليهصابات ملكة انكلترا التي حبسها ١٩ سنة ثم أمرت باعدامها (٢) شيلار شاعر ألماني شهير ولد سنة ١٧٥٩ م ومات سنة ١٨٠٥ م ومن أشهر قصصه المحزنة النبهة والانشين وغليوم تل (٣) غويت واسمه جان ولف جانج هو أكبر كاتب ألماني ولد في فرنك فور سيرلين سنة ١٧٤٩ م ومات سنة ١٨٣٢ م وفوست اسم لشخص خرافي مشهور في حكايات الالمان بأنه تماهد مع الشيطان (٤) نسبة الى بافير احدي ولايات المانيا (٥) فيثاغورس فيلسوف يوناني ولد في ساموس سنة ٥٦٩ ق م ومات سنة ٤٧٠ ق م بمصر وبابلون مدة طويلة ثم رجع إلى بلاد اليونان وأسس مدرسة في كروتون وهو أول من قال بالتناسخ وعرف بنظام العالم الحقيقي

عني كثيراً خوف اقلالي من التحمس في حبها بما اكتشفته فيها على توالي الايام من الخصائص الجملة التي لم أكن لاحظتها من قبل ولا بد من الاعتراف لك بأني كنت أجلس من الصف المواجه لباحة التمثيل بحيث أكون مرئياً لها وقد حسب لحظي مرة أو مرتين انه لاقي لحظها... ولكن ربما كان هذا ضلالاً ومع ان التمثيل كان يمكث أكثر من أربع ساعات كنت دائماً أجده في غاية القصر وأغادر مقعدي في ختامه وقلبي مغمم بما لا يوصف من الاضطراب

خطر في ذهني ان أخاطبها بأبيات من الشعر أنظمها وأرسلها اليها غير ممضأة مني على يد بواب الملعب الهرم ففعلت وكنت أقول في نفسي وقت نظمي ان أقل فائدة لي منها ان تعلم ان واحداً من الناس يحبها ولكنها كانت أياً تأريثاً وأقر بأنها ما كانت تؤذي نصف ما كنت أضمره لها من عواطف الميل وهذا ما دعاني الى عدم الاعتقاد بصحة ما قيل من أن الشعر من لوازم الحب كما قرأته ذات مرة في بعض الكتب وليس في قدرة أحد ممن عدا المصطفين من الخلق أن يعبر عن كل ما يجده في نفسه وباليتمني كنت واحداً من هؤلاء النوابغ الممتازين

كنت من مساعي في القرب من هذه الفتاة واقفاً عند الحد الذي ينتهك فبينما أنا في يوم من أيام الآحاد أجوب المنتزه الذي تجتمع فيه نساء المدينة في نحو الساعة الثانية بعد الظهر اذا بها أقبلت آخذة نحو في منحرف فنظر ببالي أولاً ان اتكب هذا المنحرف لسواك احدي السبل المقاطعة له لانه كان يخيل لي ان سأصفق مما قام بنفسي من ضروب الانفعال والاضطراب غير اني تثبت ومشيت مشية الجندي الباسل الذاهب الى حومة الوغى فرأيتها في بزة بالغة من الرونق غايته على بساطها وارباه ! كم وددت لو كنت في تلك الساعة قفازها أو زهرة قلسوتها أو مظلمتها التي نقيها حر الشمس؟ أقول ذلك واني لاعلم انه كان مني قبيحاً جديداً ولكن لا ينبغي أن أكنتم عنك شيئاً من مواضع ضعفي

ان في اللحظ خاصة الجذب فاني كنت آنس من لحظي اذا رنوت اليها ان كاه اقرار وتصريح بالحب ولما مر كل منا حذاء صاحبه جرى على وجهي لألاء حسننها كما يجري لمعان البرق ولم أجسر على الالتفات خلفي الا بعد ان جاوزتها

بلائين خطوة فرأيتها قد بدت غني مهرولة غير اني بصرت في المسافة التي بيني وبينها بشيء أبيض يخفق خفوق جناح الحمامة من صفق الريح اياه فثار ثبث في التقاطه فاذا هو مندبيلها قد سقط منها . . . أو تعمدت اسقاطه فعدوت خلفها ودفعته اليها فأظهرت الدهش من ضياعه وتلطفت في اسدائي الشكر على رده وراقبي ان سمعتها تحسن التكلم بالفرنسية فلاح في ذهني أن أعرفها اني صاحب الشعر الذي أرسل اليها ولكني كنت من شدة الاضطراب الذي استولى على نفسي بحيث لم أستطع تحريك شفهي بكلمة ما ولا بد أن تكون حسبتي ابله يزعم العارفون بتركيب الحيوان ومنافع أعضائه ان الذاكرة لا تحفظ الروائح وعذرم في ذلك أنهم لم يحبوا في حياتهم فان مندبيلها وهو قطعة من النسيج الباتستي (١) الرقيق كان يتضوع عن عطر لطيف لن أنساه مادمت حيا . وفي اليوم التالي لهذا اللقاء انطلقت الى ماحول المدينة من الربى الزاهرة فجنيت باقة من ألطف ما وجدته من الزهور البرية وأدلمها على العفان ولما حان وقت التمثيل خباها في قننسوتي المدرسية وأخذت مجلسي في الملعب ففنت كعادتها بصوت يسمو بسامعيه الى السحاب ولكن كان يخيل الي ان هذه المرأة التي لاقيتها في الطريق أمس ذلك اليوم أكل من قينة وان كان استعدادها للتغنية مثارا للاعجاب وبعدان انتهت من غنائها وانصرفت استعدادها لجميع السامعين فهطلت حولها باقات الزهر من غرف الملعب والكراسي المقابلة لباحته وأن لي أن ألقى اليها باقبي فاهتمت غاية الاهتمام بأن تبصرني عندي لقاها مع تظاهري بالاختفاء خلف جبراني وما أدراك ما فعلته حينئذ؟ لقد أهملت كل ما ألقاه غيري من الأزهار النادرة مثل زهر السكاملية (٢) وزهر التين الهندي والورد ذي السنة وعمدت الى باقبي الحقيرة المؤلفة من أزهار برية فتناولتها وضميتها الى قلبها أفلا ترين في ذلك برهانا على حبها لي ؟

ستقولين لي أنت لا تعرفها وقد تكون مخالفة تمام المخالفة لما تخيلته منها وانه كان ينبغي لك قبل أن تملل نفسك بالاماني والاهام أن تكون على بينة من أخلاقها وكيفية معيشتها فأجيبك أن هذا أيضاً لم يفتني وأقر بأنني لم أقف من

(١) الباتستي نسبة الى باتست وهو أول صانع لهذا النسيج (٢) السكاملية زهرة يابانية جلبها الى أوروبا مرسل ديني اسمه كاملي فنسبت اليه

تحمري سيرتها الا على أخبار لا يزال فيها شيء من الغموض ولم يجتمع لدي في هذا الصدد الأقوال في غاية التعارض والتناقض فأنت تعلمين مقدار ما للشبان فيما بينهم من القسوة على النساء ولا سيما الممثلات فقد بلغ الحسد من افساد خلق الانسان الى حد أن جعل من لذاته تمزيق اعراضهن مع ما هن من الملكات التي هي مناط الاستحسان العام ولست بمخف عنك شيئاً مما يقولون فبعضهم ينسب لها من هنات الشباب ما يغير دمي ويشير غضبي وبعضهم يقول انها تعيش مع أمها في حيّ منعزل عن المدينة وقد أرايتي الطالبة هذه الام تصحبها ليلا عند خروجها من الملعب فلم أجد بينهما مشابهة ما وان أردت الوقوف على شيء من نعمتها فتخيلي امرأة ضخمة من عامة النساء قد ذر شاربها واني لمتألم من تصور ان مثل تلك الزهرة قد نبتت من هذه المدرّة ومهما يكن من وضاعة أصل تلك الجارية فمن الفضل أن تعامل بجميع ما يجب لفتاة مخلصّة مثلها من صنوف الرعاية والتكريم

على اننا اذا سامنا حصول أسوأ ما يتأتى حصوله منها وفرضنا ان سيرتها لم تكن دائماً مرضية أفلا يكون الذنب في ذلك على مهنتها وعلى من يعاشرونها من الناس؟ اني أراها بالغة من الظرف والكياسة مبلغاً أستبعد معه أن لا تكون لها نفس زكية وربما لم يتفق لها في حياتها أن تمثل لها الحب الصحيح المطهر للنفس بشراً فاضلاً كريماً. وارباه أي فخر أناله لو أتيح لي أن أمد يدي الى تلك الروح الملكية فأنتاشها من درك الانحطاط الذي هبطت فيه لتعود الى نور الهدى والفضيلة

ها أناذا قد كشفت لك مكنون سري ونجوت بهذا الاعتراف من شديد زجر سريرتي والآن أقع بين يديك راجياً منك غفران خطيئتي . اهـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تأبين الاستاذ الامام

في يوم الجمعة (١٧ جمادى الثانية ١٨ أغسطس) اجتمع خواص الناس من

العلماء والادباء والوجهاء من المسلمين وغيرهم عند قبر الاستاذ الامام حكيم الشرقى

وحجة الاسلام الشيخ محمد عبده لثأبينه وورثاته وكان عدد المجتبعين عظيمًا كما كان ينتظر أو أكثر مما كان ينتظر فقد غص بهم المكان المعروف بالحوش والبطحاء التي أمامه ورجع خلائق أموا المكان فلم يجدوا مقعدا ولا موقفا

قام حسن باشا عاصم الذي كان رئيس الديوان الخديوي من قبل بعد تلاوة أحد القراء آيات من الكتاب العزيز فألقى على الحاضرين سيرة الامام ، بالاختصار اللائق بالمقام ، وتلاه الشيخ أحمد أبو خطوه القاضي في المحكمة الشرعية الكبرى وأحد أكبر المدرسين في الجامع الأزهر وطفق يسرد ما كان للفقيد عليه الرضوان من خدمة العلم والدين والاصلاح الصوري والمعنوي في الأزهر والمحاكم الشرعية وما له من الايدي البيضاء على العلم والعلماء ، وقد ضعف صوته أن يصل الى آذان الحاضرين جلياً فامتدت الاعناق وكاد يضطرب الجمع فاستتاب عنه محمد أفندي سعودي أحد كتاب المحكمة بعد الاعتذار . ثم قام حسن باشا عبدالرازق أحد أعضاء مجلس الشورى فدكر من فضائل الفقيد وفواضله وآثاره وما أثره ماشاء الله أن يذكر وتوسع بعض التوسع في أثره رحمه الله تعالى في مجلس الشورى وكيف كان صاحب الرأي الاعلى حتى ارتقى به المجلس وزال ما كان بينه وبين الحكومة من سوء التفاهم .

وتفاه قاسم بك أمين القاضي في محكمة الاستئناف الاهلية فدكر مكانة الفقيد في الامة ، وما امتاز به من المزايا الجمية ، وكيف وقف نفسه على اصلاح أمته ، وكان قدوة صالحة في علمه وسيرته ، وكيف ارتقى بجده وعلمه وعقله وقوة ارادته ، الى مقام مكنه من الاخذ بزمام أمة بأسرها ، وسوقها الى المستقبل الذي هياها لها ، وهو مقام الامامة بأوسع معناها

تلا هؤلاء الخطباء أشعر الشعراء في هذا العصر حفي بك ناصف القاضي بمحكمة مصر الاهلية وحافظ أفندي ابراهيم فأنشد كل منهما مرثيةً بكت السامعين بعد ما كدنا نظن ان تلك الخطب المؤثرة قد استنزفت الشؤن من العيون .

فأما مرثية حافظ فقد نشرناها في جزء سابق وأما مرثية حفي فسنشرها مع سائر المرثيات والتأبين في جزء الرثاء والتأبين من تاريخ الاستاذ الامام رحمه الله تعالى رحمة واسعة

ثم ختم الاحتفال كما بدىء بتلاوة آيات القرآن الحكيم وانفض الجمع وهم يستطرون الرحمة لفقيد الشرق والاسلام ، ويسألون الله أن ينفع بسيرته الانام ،

وقد رأوا ان هؤلاء المؤمنين الذين يمثلون الطبقات العليا في الأمة على ما لهم من الصفة الرسمية قد سجلوا مناقب الفقيه على رؤوس الأشهاد وأقرهم الألواف على ذلك سبق للادباء والوجهاء في مصر ان اجتمعوا لتأبين ثلاثة رجال شفيق بك منصور يكن الذي كان قاضياً في محكمة الاستئناف ثم رئيساً للنيابة فيها ووكيلاً للنائب العمومي (المتوفى سنة ١٣٠٨) وعلي باشا مبارك ناظر المعارف الذي خدمها في مصر بهمة واجتهاد واخلاص بقدر ما سمحت له قدرته وحال البلاد (المتوفى سنة ١٣١١) ومحمود سامي باشا البارودي وما العهد به بعيد

كل أولئك نابغ في قومه انفراد بالسبق في بعض المزايا حتى لم يكن في عصره من يزاحمه في مزيته فيدعي مساواته فيها وكأنك بهذه الأمة التي زادت بها الحرية الشخصية فوضى وتهجماً من الوضيع على محاكاة الرفيع فيما تسهل المحاكاة فيه مما كان عن الرفعة دون ما كانت به الرفعة قد صارت تجتمع لتأبين من ليس لهم فيها أثر يدكر ولا ذكر يرفع اجابة لدعوة أهلهم وأصدقائهم حتى لا يبقى لمثل هذا الاجتماع مزية يحفظها التاريخ أو يحفل بها المؤرخ

قد بلغ الاستاذ الامام رحمه الله تعالى من المكانة العالية والشهرة الواسعة ان صارت الأبصار تشخص والقلوب من ورأها تتلفت الى كل ما كان يكون منه أو يصدر عنه أو يعمل له أو يقال فيه وهذا ما أحسب أن يجعل تأبينه سبباً لاجلال التأبين وحمل المقلدين على الرغبة فيه وهذا هو الذي يجعل التأبين بعد اليوم محاكاة لاجلال الأمة لمن يؤبن لاحكاية عنه اذ يميز أن تجذب قلوب جميع الطبقات في الأمة ليجتمع يشاد فيه بدكر رجل بعد خادمها الأمين ، وامامها في العلم والعمل والدين ، أو ينبغ فيها من يساهم الرجل في فضائله ، ويكون له في الأمة ولو بعض فواضله ، فتأبين الاستاذ الامام هو الذي جعل للتأبين شرفاً يرغب فيه ويحمل على محاكاته وهو الذي يسلبه هذا الشرف اذا كان لغير مستحقه واذا فهم المقلدون هذه الحقيقة فأنهم يكرمون من يفقدون من ذوي القربى أو الصداقة بترك الدعوة الى تأبينهم ويتركون هذا الأمر الى الأمة نفسها يقترحه فضلاً وها وكتابتها لمن يرويه أهلاً له في المستقبل فيكون كما ينبغي أن يكون ، والله في خلقه شؤون ،

كتاب تعزية من عالم انكليزي

كتب مستر أدوارد برون أحد علماء الانكليز الاعلام المدرس في مدرسة كمبردج الجامعة الكتاب الآتي بالعربية الى حموده بك عبده يعزیه به عن أخيه الاستاذ الامام فنشرناه هنا تنويهاً بانصاف كاتبه وفضله وتنبيهاً للاذهان على ما كان لامام الشرق في نفوس علماء الغرب ليعلم من لم يكن يعلم أن تعارف إمامنا بالافرنج قد كان حجة للإسلام وشرقاً للمسلمين . قال الكاتب :

سيدي الفاضل المكرم

لا أعلم بأي لسان أعزيتكم وكل المصريين بل كل المسلمين بل كل العالمين، على هذه المصيبة التي عمت الناس كلهم أجمعين، وخصت المصريين، ومنذورود هذا الخبر الهائل رب يوم أردت ان آخذ القلم بأصابعي لكي أعرب عما في القلب من الحزن والغم الشديد ووضعه يأساً وعجزاً لان هذه المصيبة وراء الكلام خبر "ما نابنا مصمئل" جل حتى دق فيه الاجل

يا سيدي في مدة عمري رأيت كثيراً من البلاد والعباد وما رأيت مثل الفقيد المرحوم قطّ لاني الشرق ولا في الغرب فوالله كان وحيداً في العلم، وحيداً في التقوى والورع، وحيداً في البصيرة والاطلاع على ظواهر الامور وبواطنها، وحيداً في البلاغة والفصاحة، عالماً عاملاً محسناً ورعاً مجاهداً في سبيل الله محباً للعلم ملجأً للفقراء والمساكين شامساً في القر حتى اذا ما زكت الشعري فبرد وظل

كيف أصف بهذا اللسان العاجز هذا الرجل الوحيد الفقيد الذي كنت أفخر بأن أحسب من أقل تلامذته انما أرجو من سيدي أن يقبل مني تعزية من قلب حزين غير قابل للتسلي على هذا الفقدان العظيم

أريد ان شاء الله أن أكتب شيئاً باللغة الانكليزية في ترجمة حال الفقيد وقد جمعت كل ما وجدت في الجرائد العربية في هذا الباب وأرجو من حضرتك أن تعينوني في ذلك بارسال الترجمة الموعودة في المؤيد اذا طبع على حدة لكي أسنفيده بما فيه من المعلومات . فتقبل يا سيدي المكرم في الختام أخلص تعزيتي وأزكي السلام

المخلص أدورد برون

الجديد



www.alukah.net

شبكة الألوكة

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

يؤذي الحكمة من يشاء ومن يؤذي الحكمة فقد أوتى
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أووالاً لالباب

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوي و«منارة» كمنار الطريق)

مصر - ١٦ شعبان سنة ١٣٢٣ - ١٥ أكتوبر (ت) سنة ١٩٠٥

باب العقائد

مذهب السلف ، وطريقة الخنابلة في التأليف

نوفج من مقدمات شرح عقيدة السفاريني الذي نطبه في هذه الايام المسمى (لوائح الانوار الجهمية ، وسواطع الاسرار الاثرية ، لشرح الدررة المضية ، في عقيدة الفرقة المرضية ، قال

السابع

المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم باحسان واتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالامامة وعرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رمي ببدعة أو شهر بقلب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء مما يأتي ذكرهم عند تعداد الفرق لكن لما كان فشو البدع وظهورها كان بعد المائتين لما عربت الكتب العجمية كما تقدم وزاد البلاء وأظهر المأمون القول بخلق القرآن وظهر مذهب الاعتزال ظهوراً لا مزيد عليه بسبب انحراف الخلفاء عن مذهب الحق وكان الذي قام في نحورهم ورد مقاتلتهم وإبطال مذهبهم وتزييفه وذم من ذهب اليه أو عول عليه أو انتهى الى ذويه أو ناضل عنه أو مال اليه سيدنا وقدوتنا الامام المبجل والخبر البحر المفضل أبا عبد الله الامام أحمد بن محمد بن حنبل نسب مذهب السلف اليه وعول أهل عصره من أهل الحق فمن بعدهم عليه والا فهو المذهب المأثور والحق الثابت المشهور لسائر أئمة الدين وأعيان الامة المقدمين قال حرب ابن اسماعيل الكرماني في كتابه المصنف في مسائل الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه واسحق بن ابراهيم بن راهويه مع ما ذكر فيها من الآثار عن النبي المختار والصحابة الابرار والتابعين الاطهار ومن بعدهم . قال هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الاثر المعروفين بالسنة المقتدى بهم فيها وأدركت من أدركت من علماء العراق والحجاز والشام عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبيل السنة ومنهج الحق قال وهو مذهب الامام أحمد واسحق وبقى ابن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن

جالسنا وأخذنا عنهم العلم فذكر الكلام في الإيمان والقدر والوعيد والامام الخ
كلامه كما سنبه عليه في محالته * وعن ألف في عقائد السلف وذكر معتقدهم في كتب
التفسير المنقولة عن السلف مثل تفسير عبد الرزاق وتفسير الامام أحمد واسحق
ويحيى بن مخلد وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم وعبد بن حميد وعبد الرحمن بن أبي
حاتم ومحمد بن جرير الطبري وأبي بكر بن المنذر وأبي بكر عبد العزيز وأبي الشيخ
الاصفهاني وأبي بكر بن مردويه وغيرهم وكذلك الكتب المصنفة في السنة والرد
على الجهمية وأصول الدين المنقولة عن السلف مثل كتاب الرد على الجهمية لمحمد
بن عبد الله الجعفي شيخ البخاري وكتاب خلق الافعال للبخاري وكتاب
السنة لابي داود ولابي بكر الاثرم ولعبد الله بن الامام أحمد وحنبل بن اسحق
ولابي بكر الخلال ولابي الشيخ الالفهاني ولابي القاسم الطبراني ولابي عبد الله
بن منده وأمثالهم وكتاب الشريعة لابي بكر الآجري والابانة لابي عبد الله
ابن بطة وكتاب الاصول لابي عبد الله الطلمنكي وكتاب رد عثمان بن سعيد الدارمي
وكتاب الرد على الجهمية له وغير ذلك فالأئمة الأربعة والسفيانان والحمادان وابنا
أبي شيبة والليث ابن سعد وابن أبي ذيب وربيعة بن عبد الرحمن والبخاري ومسلم
وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن ماجه وابن حبان وأبو ثور
وابن جريج والاوزاعي وابن الماجشون وابن أبي ليلى وأبو عبيد بن سلام ومسعر
ابن كدام الامام ومحمد بن يحيى الذهلي امام أهل خراسان بعد اسحق بلا مدافعة
وأبو حاتم الرازي ومحمد بن نصر المروزي وغير هؤلاء كلهم عقيدة واحدة سلفية
أثرية وان كان الاشتهار للامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه للعللة التي ذكرناها
حتى ان الشيخ أباحسن الأشعري قال في كتابه - الابانة في أصول الديانة - ما نصه
بحروفه «فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة
والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا
الذي به تقول وديانتنا التي بهاندين التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث فنحن بذلك معتمدون وبما
كان عليه الامام أحمد بن حنبل نصر الله وجهه قائلون ولمن خالف قوله مجانبون لأنه

الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به المبتدعين فرحمة الله عليه من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين» انتهى فنسب المذهب اليه لاشتهاره بذلك مع ان سائر أئمة الدين سلكوا تلك المسالك وبالله التوفيق

الثامن

قال الجلال السيوطي في الاوائل أول من تفوه بكلمة خبيثة في الاعتقاد الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار آخر ملوك بني أمية فقال بأن الله تعالى لا يتكلم قال شيخ الاسلام في الرسالة الحموية الكبرى أصل فتو البدع بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبع أصلها في أواخر عصر التابعين قال ثم أصل مقالة التعطيل للصفات انما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فان أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة في الاسلام هو الجعد ابن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه وقد قيل ان الجعد أخذ مقالته عن ابان بن سمران وأخذها ابان عن طالوت بن أخت لييد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين الذين صنف بعض الساحرين في سحرهم والنمرود هو ملك الصابئة كما ان كسرى ملك الفرس والمجوس فهم اسم جنس لاسم علم قال وكانت الصابئة اذذاك الاقليلا منهم على الشرك وعلماؤهم الفلاسفة وان كان الصابئ قد لا يكون مشركا بل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لكن كثيرا منهم أو أكثرهم كانوا كفارا ومشركين وكانوا يعبدون الكواكب وبنون لها الهياكل ومذهب النفاة الذين يقولون ليس له صفات الا سلبية او اضافية او مركبة منها وهم الذين بث سيدنا ابراهيم خليل الرحمن اليهم فيكون الجعد أخذ عقيدته عن الصابئة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضا - فيما ذكره الامام ا.ح. رضي الله عنه - عنه وعن غيره وكذلك أبو نصر

الفارابي دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئة تمام فاسفته لما ناظر السمنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات فرجعت أسانيد الجهم الى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين امامن الصابئين وامامن المشركين فلما عربت الكتب الرومية زاد البلاء مع ما أتى الشيطان في قلوب أهل الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم

ولما كان بعد المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وذويه . وكلام الائمة مثل مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وأبي يوسف والثافعي وأحمد واسحق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم في هؤلاء في ذمهم وتضليلهم معروف وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب (التأويلات) وأبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه (تأسيس التقديس) ويوجد كثير منها في كلام خاق غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار ابن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه كما يعلم ذلك من كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمن البخاري وسمى كتابه (رد عثمان بن سعيد على الكاذب الضئيد فيما اقترى من التوحيد) فانه حكى هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي ثم ردها بكلام اذا طالعه العاقل الذكي يسلم حقيقة ما كان عليه السلف ويتبين له ظهور الحججة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم وقد أجمع أئمة الهدى على ذم المريسية بل أكثرهم كفرهم وضلهم ويعلم بمطالعة كتاب ابن سعيد الدارمي ان هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين الذين تسموا بالخلف هو مذهب المريسية فلا حول ولا قوة الا بالله فمذهب السلف حق بين باطلين وهدى بين ضلالين قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه لا يوصف الله تعالى الا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث . قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله وروحه مذهب السلف انهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل

فالمعطل يبعد عما والممثل يبدصيا والمسلم يبدل الارض والسماء والله أعلم

التاسع

مذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت المأثور وأهله هم الفرقة الناجية والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة واكل مكرمة راجية من الشفاعة والورود على الماوض ورؤية الحق وغير ذلك من سلامة الصدر والأيمان بالقدر والتسليم لما جاءت به النصوص فمن المحال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه - ممن لا يقدر قدر السلف ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين به بحق المعرفة للأمور بها - من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم وهؤلاء انما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الأميمين وان طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبد الاسلام وراء الظهور وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين باطلين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم قال الحافظ ابن رجب في كتابه (بيان فضل علم السلف * على علم الخلف) ما نصه «ومن محدثات الأمور ما أحدثه المعتزلة ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بأدلة العقول وهي أشد خطرا من الكلام في القدر لان الكلام في القدر كلام في أفعاله وهذا كلام في ذاته وصفاته وينقسم هؤلاء الى قسمين أحدهما من نفى كثيرا مما ورد به الكتاب والسنة لاستزمامه عنده التشبيه كنفى الرؤية والاستواء وهذا طريق المعتزلة والجهمية وقد اتفق السلف على تديمهم وتضليلهم وقد سلك سبيلهم في بعض الأمور كثير ممن ينسب الى السنة والحديث من المتأخرين والثاني من رام اثبات ذلك بأدلة العقول التي لم يرد بها الاثر ورد على أولئك مقاتلهم كالكرامية ومن وافقهم حتى إن منهم من أثبت الجسم اما لفظا واما معنى ومنهم من أثبت له تعالى صفات لم يأت بها الكتاب والسنة كالحركة وقد أفكر السلف على مقاتل رده على جهنم بأدلة العقل وبالغوا

في الطعن عليه والصواب ما عليه السلف الصالح من اصرار آيات الصفات وأحاديثها كجاءات من غير تكبير ولا تمثيل ولا يصح عن أحد من السلف خلاف ذلك البنية خصوصاً الامام أحمد رضي الله عنه ولا خوض في معانيها ولا ضرب مثل لها وان كان بعض من كان قريباً من زمنه فيهم من فعل ذلك من ذلك اتباعاً لطريقة مقاتل ابن سليمان فلا يقتدى به في ذلك وإنما الاقتداء بأئمة الاسلام كابن المبارك ومالك والثوري والاوزاعي والشافعي وأحمد واسحق وأبي عبيد ونحوهم رضي الله عنهم فكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين فضلاً عن كلام الفلاسفة ولم يدخل ذلك في كلامه من سلم من قدح وجرح وقد قال أبو زرعة الرازي: كل من كان عنده علم فلم يصن عنه واحتاج في نشره الى شيء من الكلام فلستم منه وقال الحافظ ابن رجب أيضاً وفي زماننا تتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم الى زمن الشافعي وأحمد واسحق وأبي عبيد وليكن الانسان على حذر مما حدث بعدهم فانه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحدث من انتسب الى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن الامة وانفراده عنهم بفهم يفهمه أو يأخذ ما لم تأخذ به الامة من قبله وأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين والفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء من ذلك الا وتلطخ ببعض أوضارهم كما قال الامام أحمد رضي الله عنه: لا يخلو من نظري الكلام الاتجهيم: وكان هو وغيره يحذرون من أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة

وأما ما يوجد في كلام من أحب الكلام المحدث واتبع أهله من ذم من لا يتوسع في الخصومات والجدال ونسبته الى الجهل أو الحشو أو الى انه غير عارف بالله أو بدينه فمن خطوات الشيطان نعوذ بان منه « انتهى ملخصاً

وفي الآداب للامامة ابن مفلح رحمه الله تعالى عن الطبراني قال حدثنا عبد الله بن الامام أحمد قال حدثني أبي قال: قبور أهل السنة من أهل الكباثر روضة وقبور أهل البدعة من الزنادقة حفرة فساق أهل السنة أولياء الله وزهاد أهل البدعة أعداء الله: وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تسمع ومن

دعوة لا يستجاب لها» وخرجه أهل السنن من وجوه متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعضها «ومن دعاء لا يسمع» وفي بعضها «أعوذ بك من هؤلاء الأربعة» وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول «اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني» ورواه النسائي من حديث أنس رضي الله عنه وزاد «وارزقني علماً تنفعني به» ويأتي الكلام على هذا بأبسط من هذا في المقدمة والله أعلم

﴿المنار﴾ كنا عند ابتداء الاشتغال بعلم الكلام نرى في الكتب خلاف الحنابلة فنحسب أنهم قوم جمدوا على ظواهر النقول ما فهموها حق فهمها، ولا عرفوا حقائق العلوم وطابقوا بين النقل وبينها، وأن كتب الأشاعرة هي وحدها منبع الدين، وطريق اليقين، ثم اطلعنا على كتب القوم فاذا هي الكتب التي تجلي للمسلمين طريقة السلف المثلى، وتورد الناس مورد هم الاحلى، واذا بقارئها يشعر ببشاشة الإيمان، وبحسب سر يان برد الايقان، واذا الفرق بينها وبين كتب الأشاعرة كالفرق بين من يمشي على الصراط السوي، ومن يسبح في بحر لبي، تتدافعه أمواج الشكوك الفلسفية، وتجتاز به تيارات المباحث النظرية، وقد ظهر لي اذ تبينت ان مذهب السلف الصالح أسلم وأعلم وأحكم، ان هذا من دلائل صدق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، لأن المسلمين بعد أن نظروا في فلسفة الحكماء الالهيين، وخاضوا في جميع علوم الأولين، لم يأتوا بشيء في توثيق عقدا الإيمان، ولا بالوصول الى الحق بالبرهان، الا بدون ما جاء به القرآن، ولو كان هذا القرآن من وضع البشر لارتقوا عنه بعد خروجهم من الأمية، وتوغلهم في العلوم العقلية من رياضية وطبيعية وفلسفية، ومما تفضل به كتب الحنابلة سائر الكتب أنها يحتاج إليها في كل زمان، وكتب الأشاعرة قد استغنى الناس عن معظم نظرياتنا الآن، لأن معظمها من جديد الفلسفة اليونانية وقد نسخت، وفي مناظرة فرقة المعتزلة وقد انقرضت، نعم لا أقول ان كل ما كتب الحنابلة من المسائل والمباحث صواب، وانها معصومة من الخطأ فإليها المرجع والمآب، فان العصمة لكتاب الله وحده «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»

فَتَاوَى الْمُبْتَلِينَ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس طامة، ونشترط على السائل ان يبين اسم ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالباً ورماعداً ما تأخر لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورماعداً ما تأخر لسبب مشترك لثقل هذا. ولن يعفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا يغفاله

(اعطاء الزكاة والصدقة للشرفاء ومعاملتهم)

(س ٣٠) عوض بن جهمان سعيدان في (سنا فوراه) ما قولكم سيدي في اعطاء الزكوات لمن صح انسابهم الى الامام الحسين بن علي عليهما السلام صحة لاصرية فيها يعتقدونها المعطي والمعطي اعتقاداً جازماً مع علمهما بالنهي الوارد فيه وتعليل الشارع عليه الصلاة والسلام عدم حلها لآل بيته بكونها أوساخ الناس الخ. لماذا ذكر من غناهم بما لهم من خمس الخمس والحاجة تقليداً لقليل من متأخري أئمة الشافعية في تحليلهم الاعطاء والأخذ (كذا كتبت العبارة والظاهر انه يريد بيان علة من قال بالجواز بالحاجة مع عدم استغنائهم الآن بما لهم من خمس الخمس) فهل ما جنح اليه أولئك القليل مما يسقط به الحرج عن الأخذ وتبرأ به ذمة المعطي أم هو اجتهاد مع وجود النص ونسخ لما صرح الشارع بعدم حله معللاًه بأمر ذاتي وهو مع ذلك حظ قوم لا يتعداهم فاعطاه غيره ظلم لهم فلا يجوز؟

(س ٣١) ومنه معطوقاً على ما سبق: وفي الاموال حقوق على أهلها غير الزكاة فاهي؟ ولما كان القصد بيان الحكم المفهوم من النصوص الشرعية بهذذكرها وذكر ما فهمه سلف الأمة منها وذلك مما يتندر على أهل هذه الديار رفعنا هذه السطور مستمدين من المنار تحقيق المسألة خدمة للشرع كما هو ديدنه وله الشكر منا سلفاً والاجر من الله (ج) روى أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة انه قال أخذ الحسن بن علي تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كخ كخ ارم بها أما علمت انا لانا كل الصدقة »

وروى أحمد وأبوداود والترمذي وصححه والنسائي وابنا خزيمه وحبان

وصحاحه من حديث أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً من بني مخزوم على الصدقة فقال لأبي رافع اصحبني كما تصيب منها فقال لا حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله وانطلق فسأله فقال «إن الصدقة لا تحل لنا وإن موالي القوم من أنفسهم»

وجاء في شرح الحديث الأول من نيل الأوطار ما نصه: قال ابن قدامة لا نعلم خلافاً في أن بني هاشم لا تحل لهم الصدقة المفروضة وكذا قال أبو طالب من أهل البيت حكى ذلك عنه في البحر وكذا حكى الإجماع ابن رسلان وقد نقل الطبري الجواز عن أبي حنيفة وقيل عنه تجوز لهم إذا حرموا سهم ذوي القربى حكاه الطحاوي ونقله بعض المالكية عن الأبهري منهم . قال في الفتح وهو وجه لبعض الشافعية وحكى فيه أيضاً عن أبي يوسف أنها تحل من بعضهم لبعض لا من غيرهم وحكاها في البحر عن زيد بن علي والمرضى وأبي العباس والإمامية وحكاها في الشفاء عن أبي الهادي والقاسم العياني قال الحافظ وعند المالكية في ذلك أربعة أقوال مشهورة - الجواز، المنع، جواز التطوع دون الفرض، عكسه - والأحاديث الدالة على التحريم على العموم ترد على الجميع وقد قيل إنها متواترة تواتراً معنوياً ويؤيد ذلك قوله تعالى «قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى» وقوله «قل ما أسألكم عليه من أجر» ولو أحلها لآله أو شك أن يطعنوا فيه ولقوله تعالى «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الصدقة أوساخ الناس» كما رواه مسلم وأما ما استدلل به القائلون بحلها للهاشمي من الهاشمي من حديث العباس الذي أخرجه الحاكم في النوع السابع والثلاثين من علوم الحديث بإسناد كاه من بني هاشم أن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله إنك حرمت علينا صدقات الناس هل تحل لنا صدقات بعضنا لبعض قال «نعم» فهذا الحديث قد اتهم بعض رواه وقد أطل صاحب الميزان الكلاهد على ذلك فليس بصالح لتخصيص تلك العمومات الصحيحة . وأما قول العلامة محمد بن إبراهيم الوزير بعد أن ساق الحديث ما لفظه : وأحسب له متابعا لشبهة القول به (قال) والقول به قول جماعة واغرة من أئمة العترة وأولادهم وأتباعهم بل ادعى بعضهم أنه إجماعهم ولعل

توارث هذا عنهم يقوي الحديث: انتهى فكلام ليس على قانون الاستدلال لأن مجرد الحساب ان له متابعا وذهاب جماعة من أهل البيت اليه لا يدل على صحته وأما دعوى انهم أجمعوا عليه فباطل باطل ومطولات مؤلفاتهم ومختصراتها شاهدة لذلك، وأما قول الأثير في المنحة أنها سكنت نفسه الى هذا الحديث بعد وجدان سنده وما عضده من دعوى الاجماع فقد عرفت بطلان دعوى الاجماع وكيف يصح اجماع لأهل البيت والقاسم والمهادي والناصر والمؤيد بالله وجماعة من أكابرهم بل جمهورهم خارجون عنه، وأما مجرد وجدان السند للحديث بدون كشف عنه فليس مما يوجب سكون النفس. والحاصل أن تحريم الزكاة على بني هاشم معلوم من غير فرق بين أن يكون المزكي هاشمياً أو غيره فلا ينفق من المعاذير عن هذا المحرم المعلوم الا ما صح عن الشارع لا ما لفقه الواقعون في هذه الورطة من الأعداء الواهية التي لا تخلص ولا ما لم يصح من الأحاديث المروية في التخصيص. ولكثرة أكلة الزكاة من آل هاشم في بلاد اليمن خصوصاً أرباب الرياسة قام بعض العلماء منهم في الذب عنهم وتحليل ما حرم الله عليهم مقاماً لا يرضاه الله ولا تقاد العلماء فأنف في ذلك رسالة هي كالسراب الذي يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً، وصار يتسلى بها أرباب النباهة منهم وقد يتعلل بعضهم بما قاله البعض منهم أن أرض اليمن خراجية وهو لا يشعر أن هذه المقالة مع كونها من أبطال الباطلات ليست مما يجوز التقليد فيه على مقتضى أصولهم فالله المستعان ما أسرع الناس الى متابعة الهوى وان خالف ما هو معلوم من الشريعة المطهرة. واعلم ان ظاهر قوله «لا تحل لنا الصدقة» عدم حل صدقة الفرض والتطوع وقد نقل جماعة منهم الخطابي الاجماع على تحريمها عليه صلى الله عليه وآله وسلم وتعقب بأنه قد حكى غير واحد عن الشافعي في التطوع قولاً وكذا في رواية عن أحمد وقال ابن قدامة ليس ما نقل عنه ذلك بواضح الدلالة وأما آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أكثر الحنفية وهو المصحح عن الشافعية والخنا بلة وكثير من الزيدية أنها تجوز لهم صدقة التطوع دون الفرض قالوا الآن انحرى عليهم انما هو أوساخ الناس وذلك هو الزكاة لاصدقة التطوع. وقال في البحران خصص صدقة التطوع القياس على الهبة والهدية والوقف. وقال أبو يوسف

العباس انها تحرم عليهم كصدقة الفرض لأن الدليل لم يفصل اه ما في نيل الأوطار
فأنت ترى ان الحديث في تحريم الصدقة على الآل صحيح وان الخلاف في
حكه ضعيف ويزيد الخلاف ضعفاً عمل الناس بالحديث من الصدر الأ ول حتى صار الحكم
معلوماً من الدين بالضرورة . وان عائلته تنزه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن شبهة أخذ
الأجر على النبوة وكونها طريقاً له أولاً له الى حطام الدنيا ثم حمل آله على التنزه
عن أوساخ الناس ليتربوا على كرامة النفس وعزتها ويكونوا قدوة للناس في
الترفع عن الدنيا والحسائس ، وأبي خسة أبلغ من رضى الانسان بأن يكون عالة
على الناس يده السفلى وأيديهم هي العليا؟ ولوجاز في أصل الشرع بدل الصدقات
لآل البيت لقدمهم الناس فيها على غيرهم حتى ليوشك أن يعطى منهم غير المستحق
ويحرم المستحق من غيرهم رجاء أن يكون ذلك أكثر قبولا عند الله تعالى وذلك
مما يحملهم على ترك الكسب اتكالا على ما يبذل الناس من صدقاتهم . على انهم
لم يسلموا من هذا في كثير من البلاد مع تحريم الصدقة عليهم فان الناس يبذلون
لفقرائهم من صدقة التطوع ما يبذلون ، ويقدمون لوجهائهم من الهدايا ما يقدمون ،
حتى صارت معاشهم فائضة من أنامل الناس يوطنون أنفسهم عليها بطناً بعد بطن
فانصرفت همتهم عن الكسب حتى ضعف استعدادهم له فزل بهم الناس في
سلم الحياة الاجتماعية وهم يحسبون أنهم صاعدون فهو لاء الذين يمتثلون لتجويز
اعطائهم الزكاة يحسبون أنهم يحسنون صنفاً بالقيام بمصلحتهم وسد خللتهم وقاتهم
أن الشارع أعلم بهذه المصلحة وأحكم ، حيث حرم عليهم ما حرم ، ومن الجهل أن
يقال ان التحريم خاص بذلك الزمان ، وان لنا أن نقول بنسخه الآن ،

كذلك أضر المحبون بنا معشر الشرفاء بالفلو في التعظيم لمكان النسب لان هذا
كان سبباً لاقتناع الجماهير منا بهذه المكانة دون مكانة العلم والاستقلال الذاتي
فان صغيرنا يرى الكهول والشيخ يهون الى يده بالتقيل فلا يشعر بحاجة الى
كمال آخر يرتفع به ذكره ويعلو قدره فيكون سيدا في الناس بمجده في العلم والفضل ،
لا يعمل أيه وجدته من قبل ، والرأي عندي للأغنياء المحبين لآل البيت أن يساعدهم على
الاستقلال بأنفسهم حتى يكون الناس في حاجة الى علمهم ورفدهم ولا يكونوا هم عالة

على الناس لأن يلصقوا بهم أو ساخهم ويجهلهم كالقمل الذي لا يعيش الا في الوساخة والدرن . وان يؤاخذوا الشريف الذي يخرج عما يليق بشرفه من كرامة النفس ، والاعتصام بأدب الشرع ، ما لا يؤاخذون سواه ، وان يعظموا فضائله ، ويجلوا فواضله ، بأبلغ مما يكون لمن عداه ، كما توعد الله نساء النبي بمضاعفة عذابهن على الذنب ضعفين ، ووعدهن بإيتائهن أجرهن على العمل الصالح مرتين ، وهو تعالى أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، وأما الحقوق التي على الانسان في ماله غير الزكاة فمنها الواجب ، كالنفقة على من تزومه نفقته وكزالة ضرورة المضطر فان من رأى معصوماً مشرفاً على الهلاك من الجوع يجب عليه اطعامه كما يجب عليه انقاذ الغريق عند القدرة على ذلك والمراد بالمعصوم من لا يباح دمه شرعاً كالمحارب ولا يفهم من هذا أن غير المعصوم تحرم اغنامه مطلقاً فرب انقاذ محارب يأتي بمصلحة أو يسوق الى هداية . ومنها ما هو مندوب كبدل المال في وجوه الخير اي كانت كالضيافة وأنفها في هذا الزمان انشاء المدارس للتعليم النافع والتهرية الصحيحة والجمعيات الخيرية التي تقوم بتربية اليتامى وكفالة العاجزين ونحو ذلك من الوجوه التي يعم نفعها حتى ترتقي بالسبق فيها أمة على أمة ، وتستعلي بأثارها دولة على دولة ، وناهيك بالجمعيات التي تبث الدعاء في الاقطار لهداية الخلق الى الحق في زمن لا يحفل ملوك المسلمين وامراؤهم فيه بالدعوة ولا يهمهم أمر الدين . وانك لتجد في باب التفسير من أجزاء المنار بياناً للآيات الكريمة التي تحض علي بذل المال في سبيل الله غير فريضة الزكاة فلا حاجة الى كتابة شيء من الآيات هنا وهي كثيرة جداً . وكذلك الاحاديث في هذا المقام كثيرة فان كان يرى السائل حاجة الى سرد شيء منها فليكتب اليها

لعن معاوية والترضي عنه - وفيه حكم اللعن مطلقاً -

(س ٣٢) ومنه : سيدي قال لي أحد العلماء ان من يلعن معاوية أقل خطراً ممن يرضى عنه ولتصور علمي لم أحر جواباً فهل هو مصيب فيما قال أم مخطيء أفيدونا على صفحات المنار لازلتم مؤيدين وبين العناية ملحوظين (ج) هو مخطيء بلاشبهة فالدعاء بالخير - ومنه الترضي - من البر الامن قام عنده دليل قطعي على ان فلاناً مات كافراً بالله وأن الله غضبان عليه وهذا لا يعرف



الابوحي من الله تعالى لأن المعاصي والكفر في الحياة لا يدلان دلالة قطعية على أن صاحبهما ماتا عليها لأن الخاتمة مجهولة بلاخلاف بين العلماء ولا العقلاء وأما اللعن فهو من السفه الذي لا ينبغي للمؤمن وقد قال صلى الله عليه وسلم «ليس المؤمن بالسباب ولا بالطعان ولا اللعان» قال الحافظ العراقي في تخریج أحاديث الاخياء رواه الترمذي باسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والخاكم وصححه: ورواه غيرهم من حديثه ومن حديث أبي هريرة مرفوعاً. وروى الترمذي من حديث ابن عمر وحسنه «المؤمن لا يكون لعاناً» وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان اللعانين لا يكونون شفعا ولا شهداء يوم القيامة» وورد في حظر اللعن وذمه غير ذلك من الاحاديث

وقد جعل حجة الاسلام الغزالي اللعن على ثلاث مراتب بحسب الصفات المتضمنة للعن الاولى أن يلعن الكافرين أو المبتدعين أو الفاسقين جملة، الثانية أن يخص طائفة منهم كآكلي الربا من الفاسقين مثلا، الثالثة لعن شخص معين من هذه الاصناف ونذكر عبارته فيها قال رحمه الله تعالى

«الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعاً فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لأنه قد ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعاً اما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مقرباً عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعوناً. فان قلت يلعن لكونه كافراً في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلماً في الحال وان كان يتصور فيه أن يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله أي ثبته على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر حديثاً على ما هو سبب اللعنة فان هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدري والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر. واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلمن

الاعيان فيه خطر لأن الاعيان تُتقلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قومًا باللعن فكان يقول في دعائه على قريش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة » وذكر جماعة قتلوا على الكفر بيدر حتى ان من لم تعلم عاقبته كان يلغنه فنهى عنه اذروي انه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهراً فنزل قوله تعالى « ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فأهم ظالمون » يعني أنهم ربما يسلمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون . وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه أذى على مسلم فان كان لم يجز كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مرّ به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتياً على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبي قحافة . فقال أبو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم « اكف عن أبي بكر » فانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال « يا أبا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء والآباء » (١) فكف الناس عن ذلك . وشرب نعيان الخمر فحدمرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم « لا تكن عوناً للشيطان على أخيك » وفي رواية « لا نقل هذا فإنه يجب الله ورسوله » (٢) فنهاء عن ذلك وهذا يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جائزة ففي لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس مثلاً فضلاً عن غيره . فان قيل هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو أمر به قلنا هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز أن يقال انه قتل أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن اللعنة لأنه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق . « نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً رضي الله عنه وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواتراً فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق وكفر من غير

(١) الحديث رواه أبو داود في المراسيل من رواية علي بن ربيعة (٢) رواه

هذا السياق ابن عبد البر في الاستيعاب وهو عند أحمد والبخاري وغيرهما لم يسم فيه نعيان

تحقيق . قال صلى الله عليه وسلم « لا يرمي رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ماشهد رجل على رجل بالكفر الاباء به أحدهما ان كان كافراً فهو كما قال وان لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره اياه » وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئاً لا كافراً . وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنهلك أن تشتم مسلماً أو تعصي اماماً عادلاً » (٢) والتعرض للأموات أشد قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت: ما فعل فلان لعنه الله: قلت توفي قالت رحمه الله: قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الاموات فانهم قد انفضوا الى ما قدموا » (٣) وقال عليه السلام « لا تسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء » (٤) وقال عليه السلام « أيها الناس احفظوني في أصحابي واخواني وأصهارى ولا تسبوهم أيها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيراً » (٥)

« فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الآمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا الصواب أن قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله: لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة فان وحشياً قاتل حجة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا يجوز أن تنتهي

(١) الحديث رواه الشيخان والسياق للبخاري من حديث أبي ذر مع تقديم لفظ الفسق والحديث الذي بعده رواه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٢) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث طويل (٣) رواه أحمد والبخاري والنسائي بدون ذكر قصة عائشة مع مسروق وهي عند ابن المبارك في الزهد والرقائق (٤) رواه أحمد والترمذي والطبراني من حديث المغيرة بن شعبة (٥) رواه الديلمي في مسند الفردوس ولبعض جملة شواهد في الصحاح كحديث أبي سعيد وأبي هريرة عند أحمد والشيخين « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مداً أحدهم ولا نصيفه » وحديث ابن عمر عند أبي داود والترمذي « اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم » وغير ذلك

الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر

«وانما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر أو على الاجناس المعروفين بأوصافهم دون الاشخاص المميزين فالاشتغال بذكر الله أولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة. وقال مكّي ابن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال ابن أبي بردة فجعلوا يلغونونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكركه لما ارتكبه منك (١) فقال انماها كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا إله الا الله، ولعن الله فلاناً - فلأن يخرج من صحيفتي «لا إله الا الله» أحب اليّ من أن يخرج منها (لعن الله فلاناً) وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال (أوصيك أن لا تكون لعاناً) (٢) وقال ابن عمر إن أبغض الناس الى الله كل طعان لعان. وقال بعضهم لعن المؤمن كهدل قتله قال حماد بن زيد لو قلت انه مرفوع لم أبال (٣) وعن أبي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله: وقد نقل ذلك مرفوعاً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلاً: لاصحح الله جسمه ولا سلمه الله: وما يجري مجراه فان ذلك مذموم. وفي الخبر ان المظلوم يدعوا على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة « اه ما كتبه الغزالي

(المنار) قد أوردت كل هذا ليعلم القارئ أن السنة الرجيحة والاحاديث الصحيحة وسيرة السلف الصالحين ووقه أئمة الدين كل ذلك ينهى المؤمن عن

(١) ابن عون هو أبو عون عبد الله بن عون أحد أعلام السنة أدرك أنس بن مالك وروى له الجماعة. وبلال بن أبي بردة هو ابن أبي موسى الأشعري كان أمير البصرة وقاضياً روى له الترمذي حديثاً واحداً وكان قد آذى ابن عون ولذلك سبه القوم ولعنوه أمامه فلم يشايهم بل أنكر عليهم (٢) رواه أحمد والبخاري في التاريخ وغيرها (٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٤) المرفوع رواه الشيخان من حديث ثابت بن الضحاك بلفظ (لعن المؤمن كقتله)

اللعن الذي يتساهل فيه أهل الأهواء من السفهاء وما أحسن قول حجة الاسلام
« فقي لعن الاشخاص خطر ولاخطر في السكوت عن لعن ابليس مثلاً فضلاً عن
غيره » أي فان الله تعالى - وان لعنه - لم يكفنا لعنه وأكبر العبر للمؤمنين فيما تقدم
تأديب الله تعالى نبيه اذ أنزل عليه حين طفق يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة
« ليس لك من الامر شيء - أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » وأصحاب بئر
معونة سبعون رجلاً من القراء بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم ليعلموا الناس القرآن
فقتلهم عامر بن الطفيل وأصحابه . وروى أحمد والشيخان والترمذي والنسائي
وابن جرير وغيرهم من حديث أنس أن الآية نزلت يوم أحد حين كسر المشركون
رباعية النبي صلى الله عليه وسلم وشجوا وجهه وفي حديث ابن عمر عند أحمد
والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد
« اللهم العن أباسفيان اللهم العن الحارث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو
اللهم العن صفوان بن أمية » فنزلت الآية وهي على هذا أكبر عبرة وأعلى تهديبا

هذا وان السواد الاعظم من المسلمين يعدون سب معاوية ولعنه من الكبائر
ويرمون سابه بالرفض والابتداع وان السني من المسلمين ليعادي الشيعي على سب
معاوية وأبي سفيان بله الخلفاء الثلاثة ويعادي الخارجي على سب عثمان وعلي مالا
يعادي غيرها على ترك فريضة من الفرائض أو ارتكاب فاحشة من الفواحش فهذا
اللعن في عطاء الصحابة وحملة الدين الاولين لو كان جائزاً في نفسه لكفى في
تحريمه ما يترتب عليه من زيادة التفريق بين أهل القبلة وتمكين العداوة والبغضاء
في قلوبهم حتى يكفر بعضهم بعضاً . لهذا لا أبالي ان أقول لو اطلع مطلع على
الغيب فعلم ان معاوية مات على غير الاسلام لما جاز له ان يلعنه . فما قاله ذلك الرجل
للسائل مردود لا قيمة له وهو دال على انه جاهل يفتي بغير علم بل بمحض الهوى
(استدراك) علم مما تقدم عن الغزالي انه لا يجوز لعن كافر ولا فاسق حتى
وان هذا خطر لما يتضمن من الرضى بموته على كفره أو فسقه، ولا لعن ميت لأن
الخاتمة مجهولة لا تعرف الا بوحي من الله ، وأن لعن الفاسق والكفار عامة أو لعن
صنف معين منهم في الجملة جائز ولكنه غير محمود شرعاً والأولى أن يستبدل

الإنسان بذلك اللعن ذكر الله أو الكلام في الخير. وأقول إن جواز لعن الصنف أو النوع بمعنى عدم تحريمه مقيد بما إذا لم يكن سباً لهم في وجوههم لأن السب محرم في ذاته لأنه بذاء مذموم وسبب للشحناء والعدوان وقد نهى الله تعالى عن سب معبودات المشركين، التلايسبوا معبود المؤمنين، فقال في سورة الانعام «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم» ولا يخفى ان حرمة الكتابي أعظم من حرمة المشرك وانقاء تنفيره أهم وان ايداءه اذا كان ذمياً أو معاهداً أو مستأمناً محرم بالاجماع، وانه لا يصح أن يجعل لعن الفاسقين ذريعة الى تنفيرهم عن فسقهم كأن يحضر مجلس السكارى ويلعن شاربي الخمر على مسع منهم لان الارشاد يجب أن يكون بالمعروف واللين - هذا وان لعن صنف من الكفار أو الفساق في حضرة أفراد من الصنف هو بمثابة لعن الاشخاص فهو معصيتان لأنه سب علي من جهة ولعن لأشخاص معينين من جهة أخرى .

فمليك أيها المؤمن أن تحفظ ما بين فكيك فانه لا يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم كما ورد في الحديث الصحيح عند الترمذي وابن ماجه . ولا تغتر ببعض حملة العائم ، وسكنة الاثواب العباب ، اذا رأيتهم يلعنون الأحياء والأموات ويكفرون المسلمين ، ويرزون خروجهم عن هدي الدين في معرض الدفاع عن الدين ، فأولئك ليس لهم حظ من هدى الاسلام ، ولا من العلم غير الثرة والتشديق في الكلام ، وقد روى أحمد من حديث أبي ثعلبة ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « ان أبغضكم اليّ وأبعدكم مني مجلساً الثرثارون المتفهبون المتشدقون في الكلام » ومثله عند الترمذي من حديث جابر وله نظائر

ومن علامات هؤلاء السفهاء ان لهم في كل مجلس لسان ومع كل مخاطب وجه فهم المنافقون ، هنا يذمون وهناك يمدحون ، وهم على الناس شر من المبتدعة وأهل الاهواء الذين يلعنون أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لان هؤلاء يفتن بهم العوام ما يفترون بأولئك . وشرهم الحساد الذين ينفرون الناس عن الحكماء المصلحين ، ويخوضون في أعراض العلماء العاملين ، « وعلي الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين »

باب تربية الشباب

« الحب الحقيقي ومعاملة الوالدين للشباب العاشق »

✽ المكتوب الرابع - من هيلانه الى ولدها (*) ✽

لقد راقني منك يا بني العزيز صراحتك وموافقة سرك لعلانينك واني محبته
كل الاجتناب مما زحتك في غايتك التي نطت بها أمانيك ومع اعترافي بأن ما قصصته
علي في شأنها لا يخلو من أمور تدعوني الى التفكير وتبيح لي أن أنبهك في أمرها الى
تفاصيل اخالها مرية أحمي ان أجرد تلك الامني من زهوها وأعريها من روائها
فليس عليك الا أن تنكر انك شاب غرلاً تختبر شيئاً من أمور الدنيا وانك وآسفي
لمسرعان ما تعلم أن لا تقتر بالظواهر وعسى الله أن لا يجعل في ذلك خسارة عليك
قد تعاهدت أنا وأبوك على عدم التداخل في محباتك بحال من الاحوال
فأنت حينئذ آمن من ضروب عذلي وتأنيبي ولكنك بما صرت ولي نفسك مسئول
عن جميع ما يقترفه قلبك في سبيل الحب من الآثام واعلم أن من هوفي مثل سنك
يكون شديد الارتياح الى الاعتذار والانخداع فكم شباب يحسب من الحب ما ليس
هو الا اضطراباً في مشاعره وسراباً يبدو لحواسه لان الحب الصحيح هو الاستيلاء
على نفس المحبوب ولا يبلغه الا من كان حقيقاً به واهلاله

لم يعلق بنفسه أدنى أثر مما للناس في المثلثات من الاوهام وانهم لظالمون
في حكمهم على كثير منهن وحاشا أن أحكم على تلك القيمة التي فتنتك بمحاسنها وأنا
لا أعرفها وانما أنبهك الى انك ليس لك حتى الآن أدنى وجه صحيح في أن
تستنتج من بعض أحوالها معك انها تفضلك على غيرك من عبادها فمن غرور
الشبان أن يعتقدوا انهم محبوبون لأنهم محبوبون على أي أسام لك ان قلبها ماب
لعواطفك والذي تعرفه منها والذي تلمسه من وراء حباها ليس من الخصائص
المقومة للمرأة في شيء لانك انما تهشق منها تفنيتها وحسنها ودعابتها وهي من ايا

(*) عرب من باب تربية الشباب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

تستفيد العامة منها أكثر مما يستفيدة الرجل الذي قد تصير صاحبة له فهل تدري ما يبقى لتمثال حبك الذي تعبده من المحاسن اذا زال عنه زخرف الملعب وروثه وغرور العشق وخذعه ؟

أنت بنفسك فيما يظهر لي مراتب من ماضي سيرتها لأنك تمنى لو أتيتك لك انقاذها من الدرك الذي هي فيه وهي فكرة كريمة جعلها أدياء العصر بدعة من البدع ومعاذ الله صيانة لشرف المرأة نفسه ان اعتقد ان ذنوبها لا تكفر بل اني أسلم ماقلته من ان الحب قد يمحو بعض الادناس ولكننا لانعلم كثيراً من أمثال النساء اللاتي أُبن الى الرشد بعد النسي ثم اني لا أظنك فكّرت فيما يعترض مقصدك الدال عن البسالة من الصعوبات والهوائق فان انقاذ الخاطئات الذي يحسن الطيش لبعض الشبان الاغرار أن يدعوهم لأنفسهم يلابسه في معظم الاحيان من الكبر والعجب أكثر مما يصاحبه من الاخلاص الحقيقي فكأنهم بهذا يعتقدون أن ملائكة العشق اللاتي أهبطن الى حضيض الرذيلة ليس لهن من الصلف والاياء مثل ما لهم . ان من يحاول ذلك العمل يجب أن يكون بالغا من قوة النفس ولطف الذوق مبلغاً عظيماً يسمو به عن الغضب من المرأة الخاطئة واذلالها ثم هل أنت في سنك هذا تأنس من نفسك قوة واقداماً على كتمان الغيرة فانها تبكيت ومواخذة للمرأة التي لم تكن طول حياتها عفيفة وهل لك من السلطان على نفسك ما يكفي لإخفاء ما يكون في معظم الاحيان مثاراً للريبة منك وهو ندمك على اجلالك لمثل تلك المرأة مع انه لا يسمح به عادة الا للزكية الطاهرة فاذا كنت لم تستكمل هذه الصفات فخل الجهاد عنك لأنه لا يكون من ورائه الا زيادة من تزعم انقاذها خسراً

من الامهات من يكتبن لأبنائهن في مثل هذا الموضوع على أسلوب مغاير لهذا تمام المغايرة فقد يؤنبهن ويجهندن في نحو يفهم من عواقب طيشهم وغير الامهات قد لا يرين في كل هذا الامقدمة لواقعة من الوقائع الشائع حصولها بين الشبان وهفوة عادية من هفوات الطلبة وربما قلن فوق ذلك وهن مبتسمات «تهويناً تهويناً» فمن الواجب اقالة عثرات الشباب» وأما أنا فأعلم انك جادٌ فيما كتبت والا لما

أفضيت الي بسرك ولهذا أجبك بالجد واست أخاف عليك الآن تكون خدعة لما في خيالك من التوقد الذي هو من لوازم سنك ومن العبث القول بالتسامح في أمر الحب فليس أحد يسلم عليه بالاستخفاف به لأنه اذا لم يرفع النفس ويزكها فانه يسفلها ويدسيها . وحسبي ماقلتة في هذا الموضوع فلا أزيدك عليه شيئاً
جاءتنا أخبار من البيرو فقد كتب الينا قو بيدون وجورجيا بأنهما يذكرانك و«لولا» ذكرا كثيراً

وما ينبغي ان تعلمه أيضاً أن «لولا» تفكر في اختيار مهنة لها فقد قالت لي من أيام مضت «أبي أريد أن أتعلم حرفة من أجل أن . . .» وما عمت ان فرت الي حجرتها قبل أن تم كلامها وقد اهر وجها خجلا
واراني أدركت مرادها وهو ان المرأة التي لا مال لها ولا حرفة ليست حرة فاذا تزوجت فاعما تزوج في الغالب مقام زوجها ومكانته و«لولا» لعزة نفسها وإبائها تنذر من هذا الاحتياج ولارضى الاستكانة له فهي تريد أن تقول يوماً ما لمن يروقها من الناس ان في استطاعتي أن أعيش بعلمي وأني اذا أخلصت في تحصيل الاغنياء والسعادة لك فذلك لأني أحبك
أستودعك الله يا بني العزيز وأوسع صدري على الدوام لتلقي أسرارك ومشاركتك في الآمك وأبعث لك في هذا قبلة الحب الذي لا يتغير الا وهو الحب الذي لك في قلب أمك . اهـ

أناك معلمك

مبادئ التعليم • في الدين القويم

كتب الشيخ مصطفى بكري الاسيوطي مدرس اللغة العربية بمدرسة مفاغة الخيرية رسالة وجيزة في أركان الاسلام الخمسة لأجل تعليم المبتدئين جعلها أسئلة وأجوبة وهي منتزعة من الكتب المتداولة مع التساهل والتوسع في بعض المسائل فالرسالة سهلة من أحسن ما كتب للمبتدئين وكنانود من معلمي المدارس الخروج

عن تقليد عبارات بعض المتأخرين الى ما هو أسهل منها وأقرب الى الازدهان فانه ليحزنتي أن يلتن الولدان أن الواجب اعتقاده في الله تعالى عشرون صفة واجبة وعشرون صفة مستحيلة وصفة واحدة جائزة فان هذا الاصطلاح الذي جرى عليه السنوسي في عقيدته دقيق لا يمكن أن يفهمه المبتدئ وحفظ الالفاظ ليس من الاعتقاد في شيء . ما هي الصفة التي تشمل الوجودي والعمدي والواسطة بينهما على القول بالواسطة وما فيه من الفلسفة الغريبة ؟ كيف كان الوجود الذي هو الجنس العالي لجميع الموجودات على التحقيق صفة ؟ وكيف كانت القدرة صفة وكونه قادراً صفة أخرى ؟ وكيف جعل فعل الشيء أوتركه صفة من الصفات ؟ هل وردت هذه الاصطلاحات في الكتاب والسنة فنلتزم فهم العقيدة منها ؟ هل كانا الله تعالى اعتقاد كون الملائكة أجساماً نورانية قادرة على التشكل بالصور الجميلة مسكنهم السموات دون الأرض وأن تعرف أربعة منهم فقط ؟ هل يذكر في العقائد الوجيزة ماورد أو استنبط من أحاديث الآحاد عن عالم الغيب ؟؟

لعل مؤلف هذه الرسالة وأمثاله ممن يكتبون للتعليم يسلكون مسلكاً آخر يفهمه تلاميذهم كأن يقولوا في تنزيه الله تعالى إن خالق هذه الكائنات لا يشبهها ولا تشبهه فليس كمثل شيء مما نعرفه بحواسنا وتتصوره عقولنا فهو قديم ليس قبله بشيء وهي حادثة لأنه هو الخالق وهي المخلوقة وهو باق أبدي لا يفتي ولا يتغير وهي تتغير وتفتي . ويقولوا في الصفات الثبوتية ان الله تعالى عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض لأنه خالق كل شيء والصانع الضميف من الآدميين يعرف دقائق صنعته أفلا يعلم الخالق من خلق : ويقولوا في عالم الغيب ان الله تعالى خلق خلأق كثيرة منها ما أعطانا حواساً ومشاعر لإدراكه ومنها ما هو مضمب عنا . وعالم الغيب عظيم لا يحيط به الا الله تعالى وقد جاءنا الوحي بذكر بعض ما فيه كالملائكة وحقيقتهم مجهولة عندنا لكن الله تعالى وصفهم بأوصاف العقلاء وأسند اليهم العبادة وتلقين الوحي للأنبياء وغير ذلك فنؤمن بما جاء به الوحي من ذلك لانزيد عليه ولا ننقص منه ولا نقيس عليه ولا نشبهه بما نعلم من عالم الشهادة . ولا غرابة في هذا فاننا الى الآن لم نعرف حقائق ما شاهدناه وما زال

يظهر لنا في هذا العالم أشياء كانت مغيبة لأنرى لها نظيراً فيما كنا نعرف من قبلها كالكهرباء مثلاً . مثل هذا يقال ويكتب للمبتدئين

جواهر البلاغة - في المعاني والبيان والبديع

كتاب جديد ألفه الشيخ أحمد الهاشمي وجعل له خاتمة في القوافي وفنون الشعر وهو يمتاز على الكتب القديمة التي استمد منها بشي، يرغب القارىء في القراءة وينبه نشاطه ويحفز ذهنه وهو أنه جعل الكتاب على الطريقة المصرية في الوضع والطبع أي جعل فيه بياضاً كثيراً وعناوين كثيرة وجعل لكل مبحث تمريناً أما البياض فهو ما يترك غفلاً في صحائف الكتاب بين أبوابه وفصوله ومباحثه وكذا في اعجاز السطور إذا تمت المسألة في أثناء السطر ، وقد أكثر صاحب جواهر البلاغة من هذا البياض حتى أنه ليزكر الأقسام للشيء المقسم على هذا النحو

« فصاحة المركب سلامته بعد فصاحة مفرداته من ستة أشياء »

١ تنافر الكلمات مجتمعة

٢ ضعف التأليف

٣ التعقيد اللفظي

٤ التقيد المعنوي

٥ كثرة التكرار

٦ ثنابع الاضافات

ومثل هذا كثير وقد جعل للكلام في الفصاحة عنواناً بحروف كبيرة وفصاحة المفرد عنواناً مثله وفصاحة المركب عنواناً آخر وعلى ذلك فقس . وقد بلغت كراريس الكتاب (ملازمه) ٢١ ولوطبع على الطريقة القديمة لما زادت على ١٥ الأقبلا وان هذا الوضع الذي يزينه حسن الطبع هو سبب من الرغبة في القراءة كما قلنا والرغبة في القراءة هي السبب الأول في الرواج ومن ثم ترى هذه الكتب التي توضع وتطبع على الطريقة المصرية أكثر رواجاً ولا يعتبر بهذا الذين لا يزالون يلتزمون الطريقة العتيقة في جعل الكتاب كله كتلة واحدة سوداء يرمي إليها الناظر بطفه فلا يكاد يميز مبحثاً من آخر ويرون هذا الصنيع اقتصاداً في الورق ولا يدرون أنهم

الجديد

لولا مقتصدوا هذا الاقتصاد لكان خيراً لهم وللناس . على أن السابقين ما وضعوا
الفصول في الكتب الا ليكون بين المبحث وما يليه بياض يهدي الطرف الى بداية هذا
وغاية ما قبله ولكن المتأخرين جعلوا لفظ (فصل) كالمتعبد به فصاروا يضمونه في
ائناء السطر يتصل به ما قبله وما بعده فيكون وصلاً لا فصلاً

وضع في آخر الكتاب تقاريط منها تقريظ عزبي الى الاستاذ الامام رحمه الله
تعالى نبينا اليه من رأى الكتاب من الأدياء فرا بهم عزوه لأن عبارته دون ما عهد من
عبارات امام البلاغة وقد راينا مارا بهم ووددنا لو يطلعنا المؤلف على الاصل الذي
عنده بخط الاستاذ الامام . وهذه عبارة التقريظ « اطلعت على كتاب جواهر البلاغة
في علوم المعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي وفنون الشعر والسراقات والمحاضرات
الشعرية فوجدته كتاباً عظيماً ، وأسلوباً حكيماً ، يشهد لحضرة مؤلفه بملاك الذوق
السليم ، والعقل الحكيم هداه الله الى « الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم
غير المفضوب عليهم ولا الضالين . آمين » اهـ

ولاشك ان كل ذي ذوق سليم يعرف كلام الاستاذ الامام يرتاب في كون
هذا التقريظ له واذا ظهر انه له وانه لا غلط فيه ولا تحريف التمسالة عذراً وأزناً
ارتياب المرتابين .

الألزم ، من لزوم مالا يلزم

«لزوم مالا يلزم» أو اللزوميات هو مجموع ما يؤثر عن الفيلسوف العربي أبي العلاء
المعري من الشعر في الفلسفة الإلهية والاجتماعية والكونية وانتقادات الانسان في
الكون وغير ذلك من ضروب التخيل والحقيقة . وهو ديوان طويل شهير يدخل في
سفرين كبيرين وقد عمد أحمد أفندي نسيم الشاعر المصري وعبدالله أفندي المفيرة
الاديب النجدي الى الكتاب فاختارا منه أرقه وأعذبه في مذاقهما وطبعاه في
ديوان لطيف سمياه (الالزم) الخ وكتبا في أوله ترجمة وجيزة للناظم ذكرها
ما كنا أوردناه في ص ٢٧٣ من المجلد السابع دليلاً على صحة عقيدته وقوة دينه . وقد
نقلنا هناك الايات التي كان أنشدها في إخوته كما كتبت في ترجمته وهكذا
أوردنا صاحباً الألزم والبيت الاول منها بحرف وهو

إهداء من شبكة الألوكة
وعمرت أمها المعجوز

فإن السياق يدل على أنه يريد كم ماتت فئاة ناعمة الشباب كاعبة الشديين
وعمرت بعدها أمها المعجوز ولفظ « غودرت » لا يدل على الموت لأن معناه تركت
وكنا بعد ان نشر الجزء الذي كتبنا فيه الأبيات اهتدينا الى أن غودرت محرفة
عن « غوضرت » ولم يتح لنا التنبيه الى ذلك اذ كنا لانذكره عند كتابة المنار حتى
تذكرناه الآن . واذا صح هذا ولا يخاله الا صحيحاً فهو قد استعمل غوضرت
بمعنى ماتت في غضارتها ونضرة شبابها ولكن الصيغة التي جاءت من هذه المادة
بهذا المعنى هي « اغضرت » ففي كتب اللغة التي في أيدينا اغضرت فلان بالبناء
للمفعول مات شاباً صحيحاً أي في غضارة شبابه وريهانه ومثله اغضرت وهو مأخوذ
من اغضرت الكلاً اذا أخذه أو رعاه طرياً غضاً في ريعان خضرته ويقال اغضرت
الفا كهة اذا أكلها قبل إدراكها اذ تكون خضراء ولا يعد أن يكون المعري
قد روى غوضر بمعنى اغضرت أو يكون ممن يستجيز مثل هذا البناء و يراه قياساً
وتذكرت أيضاً - والشئ بالشئ - يذكر - ما كنت كتبت في ترجمة محمود سامي
البارودي (ص ٧٨٢٦) من نفي المعرفة بكون صيغة تفرع عربية مسموعة لأنهم لم
تذكر في مادة ف ز ع من القاموس وشرحه ولسان العرب وغيرها من الكتب
ثم رأيتها في القاموس نفسه في آخر مادة روع قال « وتروع تفرع » وعزمت على
ذكرها في المنار وكنت أنساها عند الكتاب مع ان جريدة الصاعقة انتقدتها علي
منذ أشهر فذكرتني بها ولكن في غير وقت كتابة المنار ولكل شيء أجل
هذا وقد طال الكلام في الاستطراد وشعر المعري غني عن التقرير وقد طبع
المختار من اللزوميات طبعاً جميلاً وهو يطلب من طابعه

أبومسلم الخراساني

قصة تاريخية غرامية هي الحلقة التاسعة من سلسلة القصص التي يؤلفها جرجي
أفندي زيدان ويطبعها في مجلته « الهلال » واسم هذه القصة يدل على ان ما فيها من
تاريخ المسلمين هو قيام أبي مسلم بالدعوة الى الخلافة العباسية حتى سقطت بسعيه
الدولة الأموية . وقد صارت طريقة صاحب الهلال في تأليف القصص معروفة

الجاهر فقصصه غنية بهذه الشهرة عن التقرير والتتوية بيان فائدتها التاريخية وفكاهتها الأديبة فحسب المقرظ أن يعلم الناس بأن القصة طبعت على حداثها وانها تطلب من مكتبة الملل بالفجالة

السلح الخفي - اليد الاثيمة

قصتان افرنجيتان ترجمها صالح أفندي جودت ونظمتا في سلك قصص « مسامرات الشعب » والمراد بالسلح الخفي السم وباليد الاثيمة يد امرأة شريرة فاجرة كانت تنتقم بالسم من أعدائها وفي القصتين غرائب تلذ للقاري ولكنني أنصح لصاحب هذه المسامرات أن يختار القصص التي تمثل الفضيلة وتشرح محاسن آثارها على القصص التي تمثل الرذيلة وان ساءت عاقبة أنصارها الا أن تذكر الرذيلة من غير شرح لكيفيتها وتطويل بدكرها ويكون الاسهاب في بيان سوء مغبتها وشقاء أربابها

ألف نادره ونادره

كتاب لمحمد أفندي مسعود أحد كتاب جريدة المؤيد «محرريها» جمعه من الكتب الافرنجية وطبعه في مطبعته المعروفة بمطبعة الجمهور وصفحاته ٢٥٥ وفي هذه النوادر ماهو فكاهة وحكمة وما هو فكاهة فقط أو حكمة فقط ومنها ما ليس بشيء وجملة القول فيها أنها من المسليات التي يرغب فيها عند السامة من العمل والكتاب لطلب من صاحبه في المؤيد بمصر

تاريخ الاستاذ الامام

يوزع هذا الجزء من المنار ونحن شارعون في طبع قسم التابين والمرائي والتعازي من تاريخ الاستاذ الامام وهو وحده يدخل في مجلد ضخم وفيه مالم يطلع عليه القراء في هذه البلاد أقوال بعض الجرائد المعتبرة في الاقطار الغربية الشرقية ومرائي وتعازي بعض العلماء والأدباء التي لم تنشر في الجرائد المصرية ويتلوه طبع جزء منشآت الفقيه من المقالات العلمية والاجتماعية والرسائل الدينية والأديبية وغير

ذلك مما هو غير منشور ولا متداول ومنه مقالات «العروة الوثقى» برمتها. ونوخر طبع جزء سيرته وترجمة حياته المطولة الى ما بعد تمام طبع هذين الجزئين لزيادة القروي والاتقان لأنها تكتب بحرية كاملة ويفصل فيما ماقية في سبيل الاصلاح من العناء وما قيل فيه وما كيدله

ومتى تم طبع هذا الجزء الذي شرعنا فيه نعلن عنه في الجرائد ونجعل لكل مشترك في المنار الحق في أخذ نسخة منه مجاناً اذا كان قد أدى قيمة الاشتراك تامة. واتنا في هذا المقام نعيد استجداء أصدقاء الامام ومريديه بأن يتفضلوا علينا بل على التاريخ بما عساه يوجد عندهم من آثاره القلمية وما يعرفون من مناقبه الشخصية، لنضع كل شيء في موضعه من التاريخ فان الطبع فيه سيكون متصلاً ان شاء الله تعالى

هذا وان تلفيقه تضمنه الله برحمته صورة شمسية قد أخذت عنه وهو يصلي في مهب عام في لندره عند زيارته الأولى لها وذلك انه أدركه وقت الصلاة في ذلك المكان الذي هو كهديفة الازبكية بمصر ورأى انه اذا عاد الى المكان الذي يقيم فيه فان الصلاة تخرج عن وقتها فصلى على الأرض حيث كان فأسرع حاملاً الآلات الفوتغرافية الى أخذ صورة عالم شرقي في هيئة عبادة لم يسبق لهم رؤية مثلها ثم وصلت تلك الصورة الى هذه البلاد والى سوريا وتونس فمن كان عنده صورة منها فليتكرم علينا بها لتأخذ مثلها ونعيد لها لهوله الفضل والشكر

شكر بعد شكر

كنا كلنا بعض أصحاب الجرائد اليومية المعتبرة في هذا القطر بأن يهبوا عن شكر منشيء هذه المجلة وأشقائه للذين عزونا عن فقد والدنا الجليل (تغمده الله برحمته) ثم جاءتنا تعازي أخرى في البرق والهريد من أنحاء القطر ومن السودان ثم من بلاد الهند ومن بلاد المغرب فوجب علينا نبديء الشكر ونعيد له جميع الذين تفضلوا بتعزيتنا أولاً وآخرأ ونسأل الله تعالى أيتيهم الأرزاء، ويديم عليهم العناء،